

إنصاف الخليفة الأمين

بين

الأدب والتاريخ

تأليف

الدكتورة واجدة مجيد الأطرقجي

٦ المكتبة الثقافية لنقابة المعلمين

إنصاف الخليفة الأمين
بين
الأدب والتاريخ

تأليف

الدكتورة واجدة مجيد الأطرقجي

كلية التربية / جامعة بغداد

مطبعة علاء - وزيرية - هاتف ٢٤٩١٥

قراءة جديدة للتاريخ

عندما يكون الوطن هو الغاية ، وعندما تكون الامة هي المركز ، تتوحد جهود الابناء الذين تشدهم بها أواصر الارتباط ، وتتفق مشاربهم وهم يشعرون بأن هذه الروابط هي أغلى ما يحرصون عليه ، وان هذه الوشائج هي أعز ما يملكون ، وان هذه القنوات التي تسربت من خلالها أحاسيسهم وجوداً انسانياً كريماً ، وحياة وطنية رفيعة تظل القنوات السليمة التي ترفد الحياة بالنبع الاصيل ، وتمد المسارب بالمشاعر الواعية التي تترك على وجوه الاعمال الخلود والبقاء ٠

لقد عاشت الامم عزيزة الجانب ، موحدة الوجود ، منيعة في وجوه الطامعين بفضل قدرة أبنائها ، وعزة وجودها ، وبفضل وعي قياداتها التي تستطيع ان تضع الجميع في حدود المصلحة الوطنية ، وعندما يكون المصير المشترك هو الغاية المثلى ، والسيادة الوطنية هي الهدف المنشود ، وسعادة الانسان هي الاساس المطلوب ٠ وهكذا تظل هذه الامم تمتلك قدراتها ، وتسير أمورها ، وتوجه انسانها الذي ربط مصيره بمصيرها ، وحقق وجوده بوجودها ، وعرف العز بأبنائها ، وتذوق طعم النصر بقوة ارادتها ، واستشعر الايمان وروح العقيدة بوضوح رسالتها السمحة ، وببريق عيون أبنائها اللامع ، وبقلوب المجاهدين من الرجال الذين آمنوا بدورهم التاريخي ، وعرفوا موقعهم المرحلي ، وشهدوا معها كل معارك التحرير والسيادة ٠

فكتب عليها ان تعيش عزيزة ، وكتب على أبنائها ان ينعموا بفيء ايمانهم وينشروا لواء سماحتهم على الشعوب المضطهدة التي ذاقت الظلم فحرروا انسانها من العبودية ، ومسحوا عن وجوه انسانها قتامة البؤس ، وذلة الاستعباد ، وزرعوا في نفوسهم أسباب الخير ، وعناصر الحياة ، وبذور المحبة والتسامح فدخل بعضهم في رحاب الرسالة دخول مؤمن صادق ، وقبل الحياة الجديدة قبول متعاطف ملأ الايمان قلبه ، وأضاء الحق جوانبه ، وفتحت العقيدة ما استغلق من طواياه ، فتخلى عن نوازعه التي عاشت في وجدانه ، ونفض كل تراكمات الزمن الماضي الذي عاش في ردائه ، وظل يوغر في قلبه الحقد ، وبقتل نوازع الماضي ، ويميت عناصر الفرح الدائم ، وتخلى عن ديانته القديمة التي أذلت كرامته وروعت انسانيته ، وهزت قيمه ٠ وقد استطاع هذا الانسان

ان يفتح قلبه الى الدين الجديد ويبني علاقاته في ضوء السلوك الحميد الذي تميز به ، وفي ظل الحماية الكريمة التي وفرتها له مبادئه السامية ، وفي اطار الصفاء الذهني الذي اتاح له فرصة البحث ومجال التفكير ، وميدان الاجتهاد ٠

وكان اعتزاز الفرد بأمته دليلا من أدلة العطاء الذي بدأت تقدمه الامة الى بقية الامم بعد ان شعرت بمسؤوليتها تزداد اهمية ، وبدورها يكتمل اقتداراً وتمكناً ، وبأنها أصبحت قادرة على اداء رسالتها ، وتوسيع الدائرة الانسانية التي ضاقت أبعادها لفترة طويلة من الزمن بعد ان تمكنت قوى البغي من فرض سيطرتها واستحوذت عبودية الامبراطوريات على مصير البشرية ، وأحاطت بالانسان سيطرة الشرك ووثنية الاصنام ٠ ان هذه المسؤولية النابعة من قدرتها على المشاركة في البناء وقدرتها على المواجهة في التحدي ، كانت عاملا حاسماً من عوامل ثقتها الاكيدة ، وعنصراً هاماً من عناصر اعتدادها بالنفس ، واعتزازها بالرسالة التي اوكلت اليها ٠ وقد ظلت الآية الكريمة « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » والآية الكريمة الاخرى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » هي الشعار الكبير الذي حمل مطامح الامة ، ووسع رقعة اقتدارها ، وترك لها مجال العمل الجاد لتحقيق مضمون الآية الكريمة بدلالتيها ، وتطبيق محتواها الذي ظل لوحة من لوحات التمجيد في موروثها الانساني ٠ وفي طبيعة تحركها وهي تباشر دورها ، وتؤدي رسالتها ، وتحقق الغاية الاساسية التي احاطت بكل تكوينها ، وبقيت الامة التي وضعت بدايات معارفها في اغناء الحياة موضع التطبيق وفسحت المجال واسعا لكل الاجتهادات الخيرة في بناء المجتمع ، وتحقيق السعادة الاكيدة لابنائه الذين انساحوا في الارض ، يرسخون مبادىء الحق ، ويوطدون دعائم العدالة ، وينشرون رايات الفضيلة ، بقيت هذه الامة تستقبل المؤمنين برسالتها استقبالا كريما فتسقط عنهم كثيرا من المتطلبات التي كانت مفروضة عليهم ، وتمنحهم من المواقع المتقدمة وفق قدراتهم وامكاناتهم ، وتحسن معاملتهم وترعى وفاءهم ، وتكرم وفادتهم ليشعروا بالسعادة في احضان الحياة الجديدة ، ويتذوقوا لذة العيش الكريم في اطار الخلق الرفيع ، ويستمرؤوا نفحات الوجود الجديد الذي يمكن ان يطوي استار العهد القديم ، ويزيل شوائب الزمن العاتي ، ويغمر رواسب المعتقد الزائل ٠

بهذه الروح عاش الابناء يرفدون الحياة بكل اساليب العز ، ويكبرون في سماحة رحابها خفقات النفس الانساني الاصيل الذي اصبح سمة متميزة من سمات بنائها السلوكي والاجتماعي ، وبهذه الروح العالية تحركت رغبات المؤمنين لتشارك في بناء الصرح الحقيقي لمجد الامة ، ومن الطبيعي ان تظل في بعض النفوس نوازع الشر ، وتعلق في بقايا القلوب ومضات الحقد بعد ان تهاوت عروش الظلم ، وتمزقت رقعة الامبراطوريات المستبدة وانهارت صروح الملوك

الطغاة ، وتحمل هذه النفوس حقدها الاسود بعد ان شعرت بقدرة اليد القوية وهي تهوي على كل الرؤوس الفارغة ، وأدركت عزيمة الرجال الذين اندفعوا بكل اخلاص وقد عشقوا الموت من اجل الحياة وحملوا راية التضحية ، وكتبوا سطور الوفاء وآلوا على أنفسهم أن يكونوا طليعة المجد المتقدمة وربيئة النصر المؤزرة ٠

ولما لم تجد لنفسها منفذا ، ولم تستطع ان تحقق لوجودها ظلا ، لاذت بالصمت ـ وتلك عادتها ـ وآثرت السكوت لعلها تجد فرصة مواتية تحقق لها بعض ما يمكن ان يتحقق ، وتؤكد لنفسها ما يمكن ان يعيد لها بعض ما تصبو اليه ٠٠ وعلى الرغم من الاصوات الخافتة التي بدأت تظهر في القرن الاول الهجري ، فان الامة كانت تسجل حضورها على طريق الانتصار ، وتدخل التاريخ بكل ارادتها ، وتكتب الصفحات المشرقة بوميض صفاتها النبيلة ، مجسدة مثلها الرفيعة في تعامل ابنائها الذين اصبحوا نماذج متقدمة في كل عمل ، ورواد حقيقة حققوا لها وحدتها الكبيرة وكلمتها الواحدة في الدولة ، وعملوا مافي وسعهم من اجل تحقيق الاستقلال المالي والسيادة الاقتصادية التي تمثلت باصدار عملة عربية لاول مرة ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في دواوين الدولة وهما أمران لهما اثرهما الواضح في الصراع القومي ولهما اسبابهما في وحدة الدولة واستقلالها ، وفي بنائها وسيادتها ، لانهما وضعا الاسس الواضحة في قدرة الامة على النهوض وحددا معالم الطريق لحركة المجتمع العربي الذي بدأت صورته تكتمل ، وبدأت خطوطه تتضح وقدراته تتعزز وانسانه يتميز ، ودولته تأخذ حجمها في الواقع التاريخي ، وفي المرحلة المحددة وفي التفاعل المستمر ، ولان الدولة تصبح ولاول مرة دولة لها شكلها الذي عرف الدينار العربي الذهبي الخالص والدرهم الاسلامي الفضي ، ووثق العنصر المعنوي ، والمقوم القومي الذي اعطى الدولة وجها عربيا واضحا ، وطبع فوق صورتها اشراقة الحس المتميز ، وشخصيتها اللغوية التي قطعت دابر الاصول الفارسية والرومية التي ظلت تحمل بقايا الاحتلال وتطوي اشكال السيطرة ٠

ان اعتناق العرب للاسلام ، ورفع راية الجهاد في سبيل نشره وتقديم النفوس رخيصة لترسيخ قواعده وتمتين اواصره قد تركت في نفوس الاقوام الاخرى غضاضة لم تستطع الظهور عندما كانت الدولة قوية الجانب ، وخاصة عندما حرص العرب على الاحتفاظ بالعنصر العربي والوجود العربي ، وبعد ان اعتمدوا العربية لغة للدواوين والنقود ، ولكن هذا لم يمنع الدولة من الاستعانة ببعض العناصر غير العربية التي وجدوا فيها القدرة والاخلاص ، وتلمسوا في عملها الصدق والتضحية ، ولكن الموقف المعادي الذي ظل يحمل الحقد ، ويخفي البغض ، بقي شواظه يلتهب ، وبقيت ناره تتأجج في قلوب الذين ارعبتهم سماحة الرسالة ، وخذلتهم عدالتها التي اعادت الى الانسان أنسانيته ، وازالت

سلطانهم الذي كانوا يتسترون خلفه باسم الاسياد والاحرار ، ويذلون سائر الطبقات فينعتونها بالعبيد ويسومونها سوء العذاب ، وكانت هذه الطبقات تتحين الفرص لتقويض الدولة العربية تحت اي شعار ، وبالتعاون مع اية فئة ، وبالانخراط تحت أية راية ، وكلما كان العرب يسجلون مكرمة في تحرير ، أو هدفا من اهداف البناء الاجتماعي او الفكري او السياسي كانت النفوس الحاقدة تتحين الفرص لاظهار ما يضطرم في داخلها ٠ وقد علل كثير من المؤرخين حقد هذه الفئات تعليلا صائبا لا علاقة له بالتعصب ولا أساس له بطريقة الحكم التي كانت تدار بها الدولة لان من حق الدولة رعاية مصلحتها ، ومن حق الحكام توجيه السياسة التي تقتضيها طبيعة الدولة ، ووفق الظروف التي تحيط بها ، والامكانات المتوفرة التي تحقق لها منهجها المرسوم في تأكيد وحدتها وذاتها وان هذا كان يقتضي منها ان تسلك المسالك الكفيلة بالحفاظ على وجودها وهي مستهدفة من قبل دولتين كبيرتين تهاوت بكل قدراتها امام تضحية رجالها ، وصدق رسالتها ، وسماحة مبادئها ، وتعامل ابنائها الذين كانوا أمثلة في القيادة ، وابطالا في تقدير المواقف ، ونماذج في ادارة المهمات التي اوكلت اليهم ٠

ان هذه الادارة والسياسة كانت عاملا كبيرا من عوامل تعاظم خطر الموقف الفارسي من السلطة العربية بعد ان حاولوا بكل اساليبهم من التصدي لهذه المسيرة العظيمة والكيد لمحاربة الاسلام الذي قوض بقدرته اعمدة المجوسية التي آمنت بالهين والزرادشتية التي تمثلت باطاعة الملك وخدمة بطانته واعوانه ، وتسخير كل الناس لخدمة الحاكمين ، والمانوية التي اعتمدت ديانات مختلفة وجمعت بين التناسخ وثنائية الكون والشرك ، والمذاهب التي جرت على الشعوب ويلات الخنوع ، وازالت عنها طبيعة حياتها الانسانية وقتلت فيها نوازع التطلع المشروع ، واغرقتها في اشاعة المحرمات والانسياق وراء الشهوات ٠

لقد التفت المفكرون والمؤرخون المسلمون الى خطر الفرس ، وادركوا الاسباب التي كانت تختفي وراء هذا الكيد ٠ وفي اشارات البلاذري والطبري والمسعودي ومسكويه والمقريزي وغيرهم ممن وقف على حقيقة هذه المسألة تأكيدات على هذا الحقد الذي أخذ اتجاهات مختلفة وسار في مسارات مناهضة لكل محاولة عربية كانت تروم تقريب وجهات النظر وتسعى الى خلق اتفاق بين الاطراف التي برزت بينها أسباب الاختلاف ، لان الشعور بوحدة الارض كان الدافع الحقيقي للجميع ، والحرص على وحدة العرب والمسلمين في اطار الحقوق المرسومة هو الغاية لكل المؤمنين باهدافها ومبادئها ، لان الجميع كانوا يؤمنون بهذا الاتجاه ويوظفون كل القدرات المتاحة لتعميق وضعه ، موضع التطبيق لتظل الدولة قادرة على التصدي لمحاولات الكيد ، وليظل الابناء قادرين على مقاومة التيارات الحاقدة التي كانت تمتد الى كل عمل خير لتشويهه ولكل مكرمة اصيلة لقطع دابرها ، وايقاف حركتها وقتل بواكيرها ٠

لقد كانت هذه الاهداف تحمل الجميع على الايمان بوحدة المصير المشترك والشعور بالتلاحم والحفاظ على وحدة التراب ، وكانوا يعلمون ان النفوس التي تحاول قطع الصلة بين الارحام ، وايقاف اسباب التواصل ، والسعي لتوسيع شقة الخلاف كانت تمثل النفوس الحاقدة التي ظلت تكيد لهذه الامة تحت شعارات مختلفة ، وتحفر الخنادق العميقة ليظل الابناء يدورون في حلقة التقاتل والتنازع والانقسام . ولعل قصة سديف بن ميمون الشاعر (مولى أمرأة من خزاعة) الذي ادخل على ابي العباس السفاح بتوجيه من ابي مسلم الخراساني بعد ان عزم الخليفة العباسي على اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه وبعد ان شعر بأن السيف الفارسي قد غرق في الدماء العربية حتى مقبضه وان نوافذ الحقد قد سمحت لكل دوافنها المتراكمة أن تروي غلتها من الرجال الذين حملوا راية الاسلام ونقلوا له رسالته الخالدة ، ومن العرب الذين رفعوا بيارق التضحية الى ابعد رقعة من رقاع الدنيا ينشرون الفضيلة ويعاملون الناس بالحسنى ، ويكتبون صفحات المجد البطولي .. بعد كل تلك المآسي كانت الاسر العربية تعود ثانية لتشارك في المهمات الجديدة ، وكان الرجال الذين تحملوا اعباء الحقد الفارسي المقيت يشعرون بان المصير الواحد يدفعهم الى ان يتناسوا كل المبررات ويعودوا الى مجال القتال في اطار الدولة التي تحفظ للمجد العربي اصالته وتعيد الى الرسالة الاسلامية بناءها السليم . في هذا الوقت بالذات ، كان ابو العباس جالسا على سريره وبنو هاشم عنده وسليمان بن هشام ابن عبدالملك قد جلس على مقربة منه يتجاذبون اطراف الحديث ، ويتبادلون اسباب المودة ويسذكرون جانبا من جوانب التاريخ تمهيدا لفتح صفحة جديدة من العلاقات وبناء تفاهم تتوحد فيه الجهود ، وتتوثق فيه الاواصر .. في هذه اللحظات التي اوشكت فيه القلوب تتصافى، وكان فيه الامل المصيري يتخذ وفاقا ووحدة ومصيرا كان ابو مسلم الخراساني يهيء سديف المولى ليخترق الصفوف، ويطلب من الحاجب لقاء سريعا لامير المؤمنين ابي العباس السفاح ولم يعلن عن اسمه أو حاجته ، ودون ان يميط اللثام عن وجهه . ولم يجد ابو العباس حيلة في ايقاف هذا الرجل فطلب المقابلة ، فأذن له بالدخول فأقبل على الخليفة وانشد قائلا :

لا يغرنك ما ترى من أناس
ان تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها امويا

فاقبل عليه سليمان فقال : قتلتني ايها الرجل قاتلك الله .

وقام ابو العباس فدخل فاذا المنديل قد القي في عنق سليمان ثم جر فقتل .

ويذكر « المبرد » ان شبل بن عبدالله وهو مولى اخر من الموالي الذين لم يرق لهم هذا التقارب وقد اغاظهم ماكانوا يشاهدونه من تواصل الاهل ، دخل هذا المولى على عبدالله بن علي وقد اجلس ثمانين رجلا من بني امية على سمط الطعام وقد لاحت على وجوههم امارات المودة ، وهم يشعرون بأسباب التقارب فمثل بين يديه فقال ..

اصبح الملك ثابت الاساس
بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها
بعد ميل من الزمان دياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا
واقطعن كل رقلة واواسي

ذلها اظهر التودد منها
وبها منكم كحز المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي
قربهم من نمارق وكراسي

انزلوها بحيث انزلها الله بدار الهوان والاتعاس

فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط . وانتهت المائدة بسماع الانين العربي الذي طرب له هذا المولى وارتاحت له كل النفوس المتعطشة لرؤية الدم العربي يطل على الارض العربية .

لقد عبر الشعراء الموالي عن حقدهم عندما اكدوا غيظهم وهم يرون هذا الجمع الحاشد من الوجوه العربية وهي تلتقي لتعيد البناء ، والعود ثانية الى طريق التوحد واغاظهم ماكانوا يتوقعونه لو عاد الصفاء والوئام واغاظهم ما كان يلوح لهم في افق الحياة السياسية لكل الذين ارادوا الكيد للعرب ، ورغبوا في تمزيق وحدتهم ، واسقاط حكمهم .. كانت هذه الملامح تتراءى لهم ولغيرهم ممن كانوا يقفون وراء هذا التخطيط للانفراد بالعباسيين وبالتالي الاجهاز عليهم ، وكان المخططون الذين يقبعون في (مرو) وفي غيرها من بلاد فارس يدركون النتائج المترتبة على اعادة الامور الى مجاريها ، وكانوا يعرفون ان وشائج القربى لابد ان تأخذ طريقها الى نفوس الرجال الذين يرتبطون بمصير واحد . وان اسباب البناء التي يمكن ان تمتد للدولة الجديدة ستعطي مشاركة جديدة أخرى في اسكات كل الاصوات التي ارتفعت أبان الاضطرابات ، وان الايادي الفارسية التي امتدت الى الاعناق العربية لابد ان تقطع ، وان السيوف الغادرة التي تحركت تحت شعار التضليل لابد ان ترد الى رقاب اصحابها الذين لا تربطهم بالعرب

وشيجة ، ولا تحملهم على الدين غيرة ، ولا تجـد لهـا بالعـرب صلة ، وفي نفوسهم حبا لعربي · ولكن الحقد الذي حركته نوازع الشر كان يختفي وراء كل دعوى باطلة ، ويحرك كل يد اثيمة ، ويتسرب من خلال كل كلمة ملتوية ·

وتأتي محاولة الدكتورة واجدة الاطرقجي وهي تؤرخ لخليفة عربي مقتدر ، غدرته · احداث التاريخ ، وتكالبت عليه اقلام الشعوبية ، وذبحته سـيوف الحقد المارقة ، لتؤكد حقيقة اخرى من هذه الحقائق ، وقد استخدمت الشـعر والادب والوقائع ، واعتمدت المناقشة والتحليل والتعليل ، وقرأت الاخبار بعيون ثاقبة ، وتفحصت الاسباب بوعي وانصاف ، وتابعت الايادي التي حاولـت ان تشوه الاعمال الخالدة ، وتطمس المعالم الخيرة ، وتقتل الطموح الانساني الذي كان يتنامى في الحس العربي ، وبتصاعد في قدرة حملة الرسالة الخالدة ويتخذ في صور الرجال الذين كانوا نماذج في المجد الحضاري وهي محاولة لا تقف عند حدود التفسير التاريخي الذي يعطي الامة وجهها المشرق ، ولا تقف عند حدود القراءة الجديدة لاحداث التاريخ ، وانما تتجاوز كل هذه الحدود لتقف نموذجا من نماذج الدراسة التي تضع الرجال في مواجهتهم ، وتمكينهم من اخذ ادوارهم التي سجلوها باقتدار وستظل احداث التاريخ المطوية التي عبثـت بها يـد التخريب ، ورروعتها اقلام الغارقين في بؤسهم الشعوبي وحقدهم البغيض ·· ولكن الامة التي استطاعت ان تتجاوز كل المحن قادرة على ان تخرج مرة اخـرى الى العالم لتشارك في بناء حضارته وتقويم مسيرته وتعزيز قدرته بما تملكه مـن قدرات وتحققه من انجازات في كل حقل من حقول المعرفة لانها خير امة اخرجـت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله · والله اسأل ان يأخذ بيد كل الحريصين على لغة القرآن وتاريخ الامة وحضارتها التي نشرت ظلها فـوق كل ربع ، واعادت للانسان كرامته المهدورة ، ليعيدوا للحرف رونقه وللامـة صورتهـا ·

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب /جامعة بغداد
١٩٨١/٢/٢٤



تقـــديم

وبعد ... فلئن اتيح لهذه الدراسة التي استنفدت مني وقتاً ثميناً وجهداً عزيزاً خلال عامين كاملين ، والتي ملأت علي جوانب النفس والفكر فترة طويلة ، ان تستوي عملا صالحا يسعى بين الناس ليخدم في حدود ما توصل اليه حقيقة مؤيدة بما توفر لدي من الشواهد والادلة ، فأني ارجو ان اكون موفقة في انصاف شخصية عربية تسربت اليها دسائس الفرس وألصقت بها اتهامهم في ظروف تجلت فيها العنصرية بأجلى صورها ، واعمق معانيها ، واحتد الصراع بين الفرس والعرب متخذين من مطالبة المأمون بالخلافة ذريعة وغطاء لحقيقة المرامي التي تجسدت له بعد فترة وجيزة من تسلمه للخلافة فثأر لعروبته بالقضاء على من حاول ان يجعل الملك العربي فارسياً كسروياً .

وتأتي هذه الدراسة لتكشف صفحة مبهمة من صفحات الخلافة العربية ، عملت فيها الايادي الفارسية بالتشويه والمسخ ، ولتنتقي بعد الدراسة والتمحيص من بين هذا الركام المتناثر في بطون كتب الاخبار والادب والتاريخ بعض المقولات التي يمكن اعتمادها لانصاف الخليفة الامين ، ولاظهار شخصيته على حقيقتها ، خليفة عربياً يتسم بكامل الصفات ، ولاتعوزه المؤهلات اللازمة للنجاح في مهام الخلافة ومستلزماتها .

لقد كنت دائماً اقف حائرة مترددة في قبول ما اشيع عن الامين من ضآلة الشخصيه وتفاهة ما نسب اليه من الاخبار والاعمال ، لان واقع الامور لايمكن أن يدعم ذلك المشاع .

فالامين هو ابن الخليفة الرشيد اعظم خلفاء العصر العباسي من زوجه العربية الهاشمية السيدة زبيدة التي يذكرها التأريخ بكل تقدير واجلال وينعتها بأفضل الصفات .

وتؤكد الاخبار المتواترة انـه قـد لقي الكثير من عناية ابويه واهتمامهما بتربيته وتأديبه لاعداده لما ينتظره من جسيم المهمات .

لقد كنت المح بين ثنايا ماذكـر عنه من اخبار نفسا مغرضا مدفوعا بـدوافع الحقد والكره ، وتأكد ذلك لدي عندما اطلعت على بعض الملاحظات المماثلة لبعض المؤرخين القدامى والمحدثين وهي وان كانت ملاحظات سطحية عابرة فقد عززت لدي موقف الشك فيما اشيع عن الامين ، فاتخذتها هدفا اسعى الى تأييده بالحقائق والشواهـد .

وبحثت في كتب التأريخ ، فلم اجد في انصاف الامين الا عبـارات مقتضبة وملاحظات مبتسرة واخباراً متضاربة وعلى الرغم من اني حاولت الوقوف عندها كثيراً للاستفادة منها الا انها لم تكن كافية لاعطاء الصورة الواضحة التي كنت ابحث عنهـا ..

وتذكرت قول الجاحظ[1] في حديثه عن اهمية الشعر في تخليد المحاسـن وتقييد المآثر ومعرفة ما فات وادراك موضع الفساد مما صنعه الرواة من اخبـار مختلفة واحاديث متقطعة .

وقد اشار بعض المؤرخين المحدثين[2] الى ذلك ودعوا الى الاستفادة من الادب في دراسة التاريخ .

ثم عمدت الى كتب الادب والاخبار والى دواوين شعراء العصر أبحث عن ضالتي فيها ، واستفدت كثيرا مما وقفت عليه من القصائد الشعرية لشعراء العصر ، فأرجوزه (العماني) تفصل في قضية ولاية العهد وتشرح ما احاط بها من محاولات ومؤامرات كانت تهدد الدولة العربية ، وتكشف عن الخطر الذي سيحيق بها اذا لم يسارع الخليفة الرشيد بعقد العهد للامين الى غير ذلك من الامـور التي سكت عنها التأريخ تماما .

---

(١) البيان والتبيين ٣/٣٦٦-٣٦٧ .

(٢) العصر العباسي الاول ص ١٨٥ وطبيعة الدعوة العباسية ص ٤٧

كما استفدت من المدائح والمراثي الشعرية لعدد من الشعراء المعاصرين تنسب الى الخليفة الامين اسمى الاعمال والبطولات ، وتنعته بأفضل الصفات اضافة الى ما ورد في كتب الادب من أخبار وحوادث وأقوال وأعمال تؤكد ذلك وتفصل فيه تفصيلا مغنيا .

وكان اكثر اعتمادي على ماقيل فيه من شعر الرثاء ، وذلك لان المراثي في مثل الظروف تعد اصدق وصفا ، واعمق دلالة ، خاصة وان ذكر الامين بالخير والتحسر على زوال عهده بعد انتصار المامون،كان بحد ذاته يعد خروجا على الوضع القائم وتنديدا لايأمن بسببه الشاعر حسابا شديدا من الخليفة الغالب وانصاره من الفرس حينئذ ،وهذا مافصلت ذكره في موضعه من البحث .

ويعد صدور هذه الدراسة في هذه الظروف التي اشتدت فيها الاطماع الفارسية والتحديات العنصرية للامة العربية جانبا من جوانب خدمة القضية العربية في كشف صفحة جديدة من صفحات التاريخ العربي طمست معالمها لسنوات طوال .

وليس من شك في ان هذا العمل يبدأ ككل عمل فكري من حيث انتهى اعداده ، وقد أصبح اليوم حقيقة تهيب بالباحثين أن يعملوا على اغنائها خدمة لتراثنا العربي ووفاء لرجالنا المخلصين الذين عبثت الاطماع الفارسية في حقائق صفاتهم وصادق اعمالهم .

وعسى ان اكون بعد ذلك موفقة في انصاف الخليفة الامين ، الخليفة العربي الذي استهدفه الفرس ـ بعد محاولات متكررة خلال الحكم العباسي للانقضاض على السيادة العربية باءت بالفشل ـ فكان ضحية الصراع الفارسي العربي .

ومن الله التوفيق

د. واجدة الاطرقجي
جامعة بغداد ـ كلية التربية


م. سرمد حاتم شكر السامرائي

تمهيد

١ ـ الشعوبية واثرها في تحريف الحقائق التاريخية

٢ ـ الحركات العنصرية الفارسية تبوء بالفشل على أيدي الخلفاء العباسيين

١ ـ (ابوالعباس السفاح) و (ابوسلمة الخلال)
٢ ـ أبو جعفر المنصور و (أبو مسلم الخراساني)
٣ ـ المهدي و (الزنادقة)
٤ ـ هارون الرشيد و (البرامكة)
٥ ـ المأمون و (الفضل بن سهل)



تمهيد

على الرغم من الخدمات الجليلة التي قام بها المؤرخون الاوائل في حفظ التراث وتدوين الاحداث والوقائع التاريخية ، وعلى الرغم من اهمية عملهم في اطلاعنا على تجارب الاجداد وماوقع لهم خلال الاحقاب الطويلة ، ومالذلك من قيمة انسانية وحضارية تؤدي الى ربط الحاضر بجذوره وأصوله .. يبقى التاريخ في جزء كبير منه مقصراً في دقة عرضه وصحة اخباره لانه لم يكتب غالبا بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن المبالغة أو التحيز ، وتبقى نظرته الى الاحداث المدونة نظرة سطحية مبتسرة خالية من التمحيص والنقد والتحليل ، فالخلف يأخذ عن السلف دون عناء او جهد ، وكأن واجبه لايعدو النقل بالنص .

ولقد شهد العصر العباسي مظاهر صراع قوية في المجتمع العربي الاسلامي فكانت المعركة بين العرب والشعوبية وبين الاسلام الذي هو روح العروبة وأساس بنائها وبين الزندقة والحركات الملحدة الاخرى كالخرمية والمزدكية التي قادتها الشعوب غير العربية وعلى رأسها الفرس . ومالبثت تلك الحركات الملحدة المناهضة للعروبة والاسلام أن تطورت لتأخذ مظاهر اجتماعية أو عسكرية هدفها النيل من المجتمع العربي الاسلامي ووجود الامة العربية[1] .

ولقد كان العمل على مسخ بعض الحقائق التأريخية وتحريفها واظهارها بالشكل الذي يخدم اهداف ومصالح الشعوبية مظهرا من تلك المظاهر الاجتماعية وربما كان هذا المظهر جانبا من الجوانب التي ظهرت جلية في موقف الشعراء الشعوبيين وفي معاداتهم الصريحة للعروبة والاسلام .

---

(١) مقالة الدكتور عبد العزيز الدوري عن (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) ص ٢٣٧ ـ ٢٤٦

والادب العباسي حافل بالكثير من القصائد الشعرية في هذا الغرض لبشار بن برد والخريمي وابراهيم بن اسحاق وابي القاسم الزعفراني[٢] .

وبدا مثل ذلك في موقف المؤرخين . ولئن أتيح لـه في الادب ان يبـدو سافراً للعيان صريحاً في المذهب والقول ، لقد امتد في التاريخ الى ما هو ابعد من ذلك اذ لم يكفه تمجيد دور الموالي في الدعوة العباسية واسباغ صفات البطولة الخارقة عليهم ، انما تعدى ذلك الى ما هو ابلغ أثراً وأعمق خطراً .. فقد تناول الاحداث بالمسخ والتحريف والتشويه وعرضها بصورة تكمل المرمى المقصود ، ثم ادار حول الكثير من الشخصيات العربية روايات وأخباراً من شأنها الانتقاص من قيمتهم والمس بهم ، وساعد على ذلك ان اشهر مؤرخي العصر كانوا ممن عرف بالشعوبية ، فقد كان ابوعبيدة[٣] الذي انتشرت عنه الروايات في كتب التاريـخ والادب واعتمد عليه كثير من مؤرخي العصر فروى عنه الطبري والبلاذري[٤] وغيرهما مبغضاً للعرب كارهاً لهم ، وكذلك علان أو غيلان [٥] الذي قال عنة الالوسي[٦] : (انه نسب الى العرب كل زور ووضع عليهم كل افك وبهتان) .

وكان الذي لحق الدولة العباسية من ذلك كثير، ولعله بدأ بمحاولة تصوير الانقلاب العباسي وكأنه ثورة الموالي من الفرس ضد العرب بقيادة ابي مسلم الخراساني وابي سلمة الخلال ، وبرز دورهما بشكل يدعو الى الاستغراب .

ولعل الدكتور فاروق عمر فوزي[٧] كان اكثر المؤرخين المحدثين نجاحا في

---

(٢) ملامح من العروبة في شعر العصر العباسي د. عصام عبد علي ص ٤

(٣) من موالي تيم قريش ، فارسي الاصل أبوه على دين اليهود ، وجده مجوسي وكان متعصباً على العرب (المعارف) ص ٢٣٦ (والصراع بين الموالي والعرب ص ٤١)

(٤) الصراع بين الموالي والعرب ص ٤٣

(٥) من رواة التاريخ ينمى الى بيوتات العجم وكان ثنوياً زنديقاً (الصراع)

(٦) بلوغ الارب ١ / ١٦٠

(٧ طبيعة الدعوة العباسية ص ٤٠

تسليط اضواء جديدة على الدعوة العباسية ، مستفيدا مما أورده الازدي[٨] عن مدى اعتماد الثورة العباسية على العرب كقوة ضاربة فعالة ، وتركيز الدعاة على كسبهم بالاضافة الى حنكة ابي العباس السفاح وابي جعفر المنصور ومهارتهما السياسية وخبرتهما الادارية ومع ذلك فلا ينكر دور الموالي الفرس في امداد الدعوة ومساندتها وفي انتزاع الخلافة من الامويين .

وعلى الرغم من ان الفرس كانوا يغطون موقفهم بدوافع دينية او اجتماعية الا ان الاحداث الكثيرة التي تنازعت الخلافة العباسية فيما بعد اظهرت بوضوح النزعة الفارسية لهم .

وقد تجلى ذلك باستفحال عدد من الدعاة الفرس ممثلا في سعيهم الى جمع كثير من الامور المهمة والمناصب الحساسة بأيديهم والى محاولة بث الكثير من العقائد والتقاليد الاجتماعية الفارسية في المجتمع العربي ، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا – منذ الخليفة الاول – على درجة عالية من الكفاءة واليقظة بحيث لم تخف عليهم نياتهم ومطامعهم فقضوا عليهم وقبروا دعواتهم لاحساسهم بخطر الفرس الذي كان يهدد دولتهم .

فما انتكللت الدعوة العباسية بالنجاح واستقر الامر لابي العباس حتى شعر باستفحال امر ابي سلمة وخطره ، يقول ابن قتيبة في ذلك (وكان ابو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين)[٩] ففكر في القضاء عليه ، وقد تعددت الروايات في ذلك ، فقيل ان الخليفة استعان بأبي مسلم في قتله ، وقيل بل ان أبا مسلم قتله حسداً له ورغبة في التخلص منه وقد رأى كبير مسؤولياته وتنفذه .. ثم اشتد امر أبي مسلم وصار يتدخل في كل شيء حتى (ثقلت وطأته على أبي العباس وكثر خلافه اياه ورده لامره)[١٠] وكان أبو جعفر المنصور قد أثار على

(٨) أبو زكريا يزيد بن محمد الازدي المتوفي (٣٣٤ هـ) .الذي اشتهر بكتابه (تاريخ الموصل)
(٩) الامامة والسياسة ٢ / ٢٣١
(١٠) الوزراء والكتاب ص ٩٣

ابي العباس بقتل ابي مسلم منذ سنة (١٣٢ هـ) وهي السنة الاولى لتأسيس الدولة العباسية عند رجوعه من خراسان وذلك لما لاحظه عليه من اعتداد بنفسه واعتماد على الفرس ، حيث قال له[١١] (لست بخليفة مادام ابو مسلم حياً ، فاحتل لقتله قبل ان يفسد امرك ، فلقد رأيته وكأنه لا احد فوقه ، ومثله لا يؤمن غدره ونكثه) قيل ، فرفض ابو العباس ذلك ، ثم اشار عليه ثانية بقتله سنة ١٣٦ هـ فرفض قائلا : (يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه) ، فقال ابو جعفر : (يا امير المؤمنين انما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنوراً لبلغ مابلغ في هذه الدولة[١٢]وهذا مايؤكد ان دور العرب في تأسيس الدولة العباسية كان العامل الاساس وان دور الموالي كان دوراً ثانويا ليس الا .

ولما تولى أبو جعفر الخلافة عمل منذ البداية بمنتهى الحكمة والعبقرية على اضعاف ابي مسلم وكان قد اشتد امره وبعد شأنه حينذاك حتى تمكن منه سنة ١٣٧ فقضى عليه في العام الاول من حكمه بعد مناورات سياسية لاضعاف شأنه وتعريته من انصاره .

ثم اتخذت حركة الفرس ضد العرب في خلافة المهدي الزندقة ستاراً لها وقد ادرك الجاحظ ان الكره للسلطان العربي والاسلام كان الدافع الاول لهذه الحركة فقال : (وعامة من ارتاب بالاسلام انما جاء هذا عنطريق الشعوبية فاذا أبغض شيأ أبغض أهله ، ان أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة،فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف[١٣]) .

وكانت مطاردة حركة الزندقة في خلافة المهدي نتيجة طبيعية لتطور العلاقات بين العباسين وبين العناصر الدينية المتطرفة واستطاع المهدي أن يقضي علىالعناصر

---

(١١) تاريخ الطبري ٩ / ١٥٣
(١٢) تاريخ الطبري ٩ / ١٥٣
(١٣) البيان والتبيين ٣ / ١٤ (السندوبي)

الخطرة كالمقنع وحركته التي قيل عنها انها كانت متصلة بدعوة ابي مسلم التي تذهب الى (ان ابا مسلم نبي ارسله زرادشت وانه حي لم يمت[١٤]) •

وعلى الرغم من ان عهد المهدي يمثل عصر استقرار نسبي فقد كان المهدي واقعا تحت نفوذ زوجته الخيزران فيذكر الجاحظ (انها كانت ذات نفوذ في الدولة وقيام بقضاء حوائج الناس عند المهدي[١٥]) •

وتبرز في عهد الخليفة الرشيد عائلة البرامكة،وكان اول من اتصل بالعباسيين منهم خالد البرمكي ، وكان من الرجال البارزين في الادارة والسياسة ، ولي ديواني الخراج والجند بعد بيعة بني العباس ، وبعد مقتل ابي سلمة الخلال كان يقوم مقام الوزير • بل قيل ان ابا العباس استوزره[١٦] ، ثم ولاه المنصور عدة دواوين وولايات وجعله من كبار مستشاريه •

وقد حافظ خالد بن برمك على نفوذه في خلافة المهدي وكان موضع ثقته حتى عهد اليه في سنة ١٦١ هـ بتربية ابنه هارون الرشيد •

ثم اعطى الرشيد للبرامكة سلطات كبيرة ، وكان لامه الخيزران (الفارسية) اثر في ذلك ، وبلغ عزهم اوجه في حياتها وكان يحيى بن خالد البرمكي يعرض الامور عليها ويورد ويصدر عن امرها[١٧] ، وكانت بدورها تحث الرشيد على تقريبهم والاعتماد عليهم وتساندهم وتؤيدهم فيما يذهبون اليه ، فلما توفيت سنة ١٧٣ هـ فقد يحيى بن خالد بوفاتها نصيرا وحليفا مهما •

ويذكر الطبري ان الخليفة الرشيد حينما عاد من دفن امه (الخيزران) اخذ الخاتم من البرامكة الذين يمثلون (الفرس) الى عدوهم الفضل بن

---

(١٤) الفهرست ص ٣٤٤
(١٥)الطبري ٨ / ٢٠٧ والفخري ص ١٦٧
(١٦) االتنبيه والاشراف ص ٢٩٩ وتاريخ بن عساكر ٥ / ٨
(١٧) الوزراء والكتاب ص ٧٧ وتاريخ الطبري ٨ /٢٣٤

الربيع الذي يمثل (العرب) وقال له : (وحق المهدي اني لاهم لك من الليل شيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها[١٨]) .

وحاول البرامكة ابعاد العرب عن المناصب المهمة للدولة واستأثروا بالوظائف وحصروها في اقاربهم واتباعهم يقول ابن خلدون في ذلك (وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى خمسة وعشرون رئيسا من صاحب سيف وصاحب قلم[١٩]) .

وعملت هذه السياسة على ايجاد تكتل بين رجالات العرب ضدهم .

وقد اثار البرامكة مخاوف الرشيد بتعاظم نفوذهم وامتداد سيطرتهم يقول الفخري (وقيل ان جعفراً والفضل - ولدي يحيى البرمكي - ظهر منهما من الادلال مالاتحمله نفوس الملوك[٢٠]) .

ويقول ابن خلدون في مثل ذلك : (وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب[٢١]) .

وليس من شك في ان تعاظم امر البرامكة واستئثارهم بالكثير من المناصب والوظائف قد نبه الخليفة الرشيد الى خطر هذا الاتجاه ودفعه الى ضرورة ايقافهم عند حدهم ومنعهم من التجاوز على حقوق العرب في دولتهم يضاف الى ذلك ظهور ميلهم الى الزندقة وترويجهم لعقائد المجوسية ومذاهب الشرك ، يقول فيهم ابن قتيبة[٢٢] : (البرامكة كانوا يرمون بالزندقة وفيهم قال الاصمعي:

اذا ذكر الشرك في مجلس ... اضاءت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم آية ... أتوا بالاحاديث عن مزدك

---

(١٨) الطبري ٨ / ٢٣٨
(١٩) المقدمة ص ١٤
(٢٠) الفخري ص ١٥٦
(٢١) المقدمة ص ١٦
(٢٢) المعارف ص ١٦٧ وقد نسبت الابيات الى أبي نواس ، وله فيهم هجاء كثير

وكانوا من الدهاء بحيث يظهرون الاسلام ويضمرون في مكنونهم لــه الكيــد[٢٣] .

وقداضطر الرشيد الى استعمال الحكمة في التصدي لهم ، فبدأ يشذب سلطتهم تدريجيا ، ففي سنة ١٧٩ هـ صرف محمد بن خالد من حجابته وقلدها الفضل بن الربيع ، وفي السنة التالية ولى علياً بن عيسى بن ماهان أحد أعداء البرامكة على خراسان[٢٤] ضد رغبة يحيى بن خالد . ويذكر الجهشياري ايضا ان الرشيد اخذ الحرس من جعفر وقلده هرثمة بن أعين . ولسنا في مجال تحديد العـوامل المباشرة التي ادت الى القضاء على البرامكة وهي عديدة منها دينية ومنها سـياسية او ادارية ، وهكذا تواترت الاسباب حتى ادت اخيرا الى اسقاط هذه الاســرة سنة ١٨٧ هـ فكانت نهايتها رمزاً للتضارب بين مصلحة الخلفـاء العباسيـين في دولتهم العربية وبين ميول وزرائهم واطماعهم الفارسية ، ذلك التباين الذي ظهر جلياً في تصرفات الخلال وأبي مسلم الخراساني من قبل ، ثم في تصرفات وأعمال بني سهل في خلافة المأمون فيما بعد .

ولقد أدى سقوطهم الى زيادة الخصومة بين الفرس والعرب وعلى الرغم من أن الخصومة قد بقيت مكبوتة على عهد الرشيد ردحاً من الزمن بحكم جـدة الضربة وقوة الخلافة وتمكنها واستحكامها ، الا انها ظهرت قوية عنيفة اثنــاء النزاع بين الامين والمأمون .وقد شكلت بوادر المعركة بينهما زيادة تحرك العناصر الفارسية صراحة للانقضاض على العرب وساعد على تغذيتها واشتدادهـا كـون المأمون من أم فارسية فاتخذوا من التمسك بولاية العهد له بعد الامين حقاً مشروعاً يلفون به مطامعهم الفارسية ويخفون وراءه حقدهم الدفين على العرب .

---

(٢٣) الصراع بين الموالي والعرب ص ٤٠
(٢٤) الوزراء والكتاب ص ٢٢٨



الفصل الاول

لمحة تاريخية في الفتنة بين الامين والمامون

١ ـ عقد ولاية العهد لمحمد الأمين والظروف المحيطة به
٢ ـ الدور السلمي للنزاع بين الأمين والمأمون
٣ ـ الدور العسكري للنزاع بين الأمين والمأمون



الفصل الاول

لمحة تاريخية في الفتنة بين الأمين والمأمون

تولى هارون الرشيد الخلافة بعد وفاة اخيه موسى الهادي سنة (١٧٠ هـ) وفيها ولد محمد بن هارون (الامين) يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال[١] ، وكان مولد عبدالله (المأمون) قبله في ليلة الجمعة النصف من شهر ربيع الاول من السنة ذاتها .

وقد اهتم الرشيد بعد سنوات قليلة من حكمه بقضية ولاية العهد ، قيل ودفعه الى ذلك ان جماعة من بني العباس كانوا قد مدوا اعناقهم الى الخلافة لانه لم يكن له ولي عهد [٢] وربما كان لتحرك الاطماع الفارسية المتسترة بحرص البعض على عقد العهد للمأمون وهو الولد الاكبر ، فعقد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده بولاية عهد المسلمين وأخذ له بعد ذلك بيعة القواد والجند وسماه بالامين وله يومئذ خمس سنين [٣] .

ويروي الطبري بعد ذلك ، ان الرشيد كان قد عقد لابنه محمد ولاية العهد[٤] يوم الخميس في شعبان سنة (١٧٣ هـ) وضم اليه الشام والعراق في سنة ١٧٥ هـ فاذا اصح ذلك امكننا اعتبار عام (١٧٣ هـ) نقطة تحول نسبي للحد من النفوذ الفارسي والاعتماد على العرب في عهد الرشيد . ففي هذا العام [٥]

---

(١) الطبري ٨ / ٢٣٣
(٢) الطبري ٨ / ٢٤٠
(٣) الطبري ٨ / ٢٤٠
(٤) الطبري ٨ / ٢٧٥
(٥) الطبري ٨ / ٢٣٩

توفيت الخيزران (الفارسية الاصل) ام الخليفة هارون والتي عرف عنها شدة النفوذ والسيطرة وتقريبها للفرس واعتمادها على البرامكة ، ويروي الطبري [٦] وابن الاثير [٧] وغيرهما أن الخليفة حينما فرغ من دفن أمه (وضع له كرسي فجلس عليه ودعا الفضل بن الربيع (الذي يمثل العرب) فقال له : وحق المهدي ـ وكان لا يحلف بها الا اذا اجتهد ـ اني لأهم لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر (جعفر بن يحيى البرمكي الذي يمثل الفرس) .

وكان عقد ولاية العهد لمحمد الامين ـ على رواية الطبري ـ في شعبان من السنة ذاتها اي بعد شهر واحد من وفاتها .

ويبدو ان الفرس قد أحسوا بخطورة موقفهم في حالة تولي الامين الذي يمثل الجانب العربي ، فنشطت محاولاتهم لاقناع الرشيد بعقد الخلافة لعبدالله المأمون بعد الأمين ، وكأنهم بذلك كانوا يخططون للفتنة الحمراء التي أسالت الدماء وازهقت الارواح فيما بعد والتي انتهت بقتل الامين وخلافة المأمون . وتشير المصادر الى ان الرشيد كتب العهد لعبدالله المامون عام ١٨٣ هـ حينما حج مع ولديه وعلق كتب العهد في البيت الحرام زيادة في قدسيتها[٨] .

وتذكر اكثر المصادر انه كان لجعفر يد في ذلك فقد روي عن الامين انه قال : (ان رأي الرشيد « في البيعة للمأمون » كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره واستماله برقاه) وبلغ من حرص جعفر على العهد للمأمون أنه طالب محمداً في البيت الحرام ان يقول : خذلني الله ان خذلته (يقصد المأمون) فقال ذلك ثلاث مرات [١٠] .

---

(٦) الطبري ٨ / ٢٣٨
(٧) الكامل ٦ / ١١٦
(٨) الوزراء والكتاب ص ٢٩٢ والطبري ٨ /٣٨٥
(٩) المعارف ص ١٦٦
(١٠) الوزراء والكتاب ص ٢٢٢

وعلى الرغم من ان الرشيد كان قد رأى في عمله دفعاً للمحذور والمكروه من الشتات والفرقة ، وحسما لكيد الاعداء من اهل الكفر والنفاق وذبا عن سلطان الله الذي قدره [١١] فان بعض العامة رأوا انه (ألقى بأسهم بينهم ، وان عاقبة ماصنع في ذلك مخوفة على الرعية[١٢]) وقال بعضهم حينما سأله الرشيد عن رأيه في العهد (رأيتك قد أخذت ثلاثة [١٣] أسياف مشحوذة فجعلتها في غمد واحد فانظر ما يكون) [١٤] .

وقد مر النزاع بين الاخوين في دورين : الاول منهما سلمي دبلوماسي (١٩٣ - ١٩٥ هـ) والثاني عسكري مسلح (١٩٥ - ١٩٨ هـ) وانتهى بمقتل الامين .

ويبدأ الدور السلمي بمرض الرشيد في طوس ، وكان قد جدد العهد لابنه عبدالله المأمون وأشهد من معه بأن يكون مامعه من الجند والمال والاثاث والسلاح للمأمون ان حدثت به حادثة .

فلما علم الامين - وكان الرشيد قد خلفه على الدولة في بغداد باشتداد المرض على الخليفة ، بعث بكر ابن المعتمر [١٥] بكتب ظاهرة بعيادته ، وكتب باطنه الى القواد والامراء بالقفول والاحتياط على ما في العسكر ، وعدم تسليم الجيش للمأمون ، وجعل له في كل يوم الف دينار[١٦] .

وعلم الرشيد بوجود الكتب السرية من الامين مع بكر فأمر باستجوابه ، فتنكرها رغم تهديده وتقييده وحبسه [١٧] .

---

(١١) الطبري ٨ / ٢٨٥
(١٢) الطبري ٨ / ٢٧٦
(١٣) يقصد الامين والمأمون والمؤتمن (القاسم)
(١٤) الوزراء والكتاب ص ٢٧٠
(١٥) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الامين
(١٦) الوزراء والكتاب ص ٢٧٣
(١٧) الطبري ٨ / ٣٦٦

وكان من تلك الكتب كتاب الى المأمون [١٨] بأخذ البيعة على الناس لـه (الامين) وكتاب الى اخيه صالح[١٩] بتسيير العسكر وارسال مافيه اليه ، واخر الى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على مامعه من الحرم والاموال وغير ذلك ، وآخر الى اسماعيل بن صبيح[٢٠] .

فلما توفي الرشيد دعا الفضل بن الربيع ببكر من ساعته وسأله عما عنده ، فأتاه بالكتب التي كانت معه وكان قد اخفاها في قوائم المطابخ المجلدة بجلود البقر ، فدفع الكتب الى اصحابها .

ولم يتردد الفضل بالرجوع بالعسكر وما فيه الى بغداد قائلا : (لا أدع ملكا حاضرا لاخر لايدرى ما يكون من امره[٢١] . (ولم يعرج على المأمون ولا التفت اليه[٢٢]) . وأمر الناس بالرحيل وتركوا العهود التي اخذت عليهم للمأمون . وكانت هذه أول مخالفة ظاهرة لوصية الرشيد ، فاستنكرها المأمون وأحس بعدم استقامة نية الامين تجاهه ، فجمع من معه من قواد أبيه وشاورهم في الامر فأشاروا عليه باللحاق بالفضل بن الربيع بجيش من الفي فارس لرده[٢٣] ، ولكن الفضل بن سهل[٢٤] حذره عاقبه ذلك وقال : (اذا فعلت هذا لم آمن ان يقبضوا عليك ويجعلوك هدية الى محمد ولكن تقيم وتكتب اليهم كتابا ، وتوجه اليهم رسولا يذكرهم بالبيعة[٢٥]) .

فقبل المأمون رأيه وارسل رسولين الى الفضل بن الربيع فلم يحصل منه

---

(١٨) الطبري ٨ / ٣٦٧ والكامل ٦ / ٢٢٣
(١٩) الطبري ٨ / ٣٦٨ والكامل ٦ / ٢٢٣
(٢٠) الكامل ٦ / ٢٢٣
(٢١) الطبري ٨ / ٣٧٠
(٢٢) الوزراء والكتاب ص ٢٧٧
(٢٣) الطبري ٨ / ٣٧٢
(٢٤) الفضل بن سهل : وهو ربيب البرامكة ، كان مجوسيا ، اراد جعل الملك كسرويا ، فقضى عليه المأمون
(٢٥) الطبري ٨ / ٣٧٢ والكامل ٦ / ٢٢٣

على نتيجة في صالحه ، وقد فشلت المحاولات في اقناع أمراء الرؤساء للميل مع المأمون ، اذ كان الفضل بن سهل قد قصدهم في منازلهم وذكرهم البيعة التي في اعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء قال : (فكأني جئتهم بجيفة على طبق فقال بعضهم : هذا لا يحل أخرج ، وقال بعضهم : من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه [٢٦]) وهذا بلا شك يدل على قوة الامين ورسوخ شأنه وعدم اقتناع الرؤساء بالوقوف ضده . فنشطت المحاولات السلمية في استمالة القواد والرؤوس من أهل خراسان ، وأشار الفضل بن سهل وزير المأمون عليه باظهار الورع والدين وحسن السيرة ، ودعا الى الحق والعمل به واحياء السنة ، وقعد على اللبود (الصوف) لرد المظالم[٢٧] (وكان كلما اعتمد الامين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة [٢٨] .

ثم حطوا عن خراسان ربع الخراج فحسن موقع ذلك من الناس وسروا به وقالوا : (أبن أختنا وابن عم رسول الله [٢٩]) .

وفي الوقت ذاته كان المأمون يظهر التودد لاخيه (وأهدى اليه هدايا كثيرة وتواترت كتب المأمون الى محمد بالتعظيم والهدايا من طرف خراسان [٣٠]) .

وسعى الامين نحو غايته في بسط نفوذه على اخويه وتقديم ابنه في البيعة بالتدريج فبدأ بعزل القاسم (المؤتمن) عن الجزيرة سنة ١٩٣ هـ وأقره على قنسرين والعواصم [٣١] ، وعزله سنة ١٩٤ هـ عن كل ما بيده واستقدمه الى بغداد ، ثم كتب سنة ١٩٤ هـ الى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالامرة

---

(٢٦) الطبري ٨ / ٣٧٢ والكامل ٦ / ٢٢٤
(٢٧) الطبري ٨ / ٣٧٢
(٢٨) الفخري في الاداب السلطانية ص ٢١٢
(٢٩) الطبري ٨ / ٣٧٢
(٣٠) الطبري ٨ / ٢٧٣ والكامل ٦ / ٢٢٥
(٣١) الكامل ٦ / ٢٢٦

بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم[٣٢] . ولما سمع المأمون بعزل القاسم وبالدعاء لابن اخيه ، ادرك ان الامين ينوي تغيير العهد (فقطع البريد عن محمد واسقط اسمه من الطرز [٣٣]) .

ولم يفصح الامين عن نواياه بل طلب الى المأمون ان يتنازل له عن بعض اجزاء ولايته ليقلل من قوته ، فحذره القاسم بن صبيح من ذلك لانه (توكيد للظن وتقوية للتهمة ومدعاة للحذر) وقال : (تكتب اليه وتعرفه حاجتك وشوقك الى قربه وإيثارك الاستعانة برأيه ومشورته وتسأله القدوم عليك فان ذلك أحرى أن لا يوحشه [٣٤]) . وأضاف : (فاذا قدم عليك وفرقت بينه وبين جنده كسرت حده وظفرت به وصار رهناً في يديك فأت في أمره ما أردت) .

وبعث الى اخيه برسالة[٣٥] مع وفد لاقناعه بالقبول فلما وصل الوفد أكرمه المأمون، ولكنه اعتذر عن تلبية طلب أخيه وأوصى رجال الوفد (أن يحسنوا أمره عند الامين ويبسطوا من عذره) .

فلما يئس الامين من مجيء المأمون عاد الى رأيه الاول وكتب [٣٦] اليه يسأله أن يتجافى له عن كور من كور خراسان وأن يوافق على توجيه العمال اليها من قبله وأن يوافق على ارسال رجل من قبله الى خراسان لموافاته بالاخبار ، وأراد بذلك اضعاف المأمون وجعله تابعاً له وخاضعاً لرقابته . وقد أشار جميع مستشاري المأمون باجابة الامين الى سؤاله رجاء للسلامة [٣٧] الا ان الفضل بن سهل ذكرهم بأن ذلك تجاوز الى ما ليس بحق وانه لا يثق بكف الامين عن التجاوز الى مطالب اخرى .

---

(٣٢) الطبري ٨ / ٣٧٥

(٣٣) الطبري ٨ / ٣٧٥ وكتابة الاسم على الطرز رمز للولاء للسلطان

(٣٤) الوزراء والكتاب ص ٢٩١ والكامل ٦ / ٢٣١

(٣٥) الطبري ٨/٣٨٠ .

(٣٦) تنظر رسائل الامين ص ١١٠ من البحث .

(٣٧) الطبري ٨ / ٣٧٨

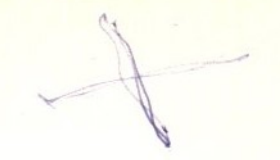
وكان المأمون قد اتخذ سبيله في ذلك الوقت الى سد المجال امام دعاية الامين لاستمالة أهل خراسان ، فوضع ثقات الحرس على الطرق و (ومنع الاشتات من جواز السبل) وامر بتفتيش الرسائل واوصى الحراس بأن (لا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الإمناء ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة احدا ، ولا يبلغ احدا قولا ولا كتابا) [٣٨] فكانت النتيجة ان حصر اهل خراسان من ان يستمالوا برغبة او ان تودع صدورهم رهبة او ان يحملوا على منوال خلاف أو مفارقة .

واستمرت المراسلات [٣٩] بين الاخوين ، وكل منهما يعزز موقفه ومطاليبه بالادلة والحجج حتى انتهت العلاقة فيما بينهما الى مرحلة لم يبق فيها مجال للمجاملات وصار التصريح أمراً لا بد منه فأرسل الامين الى المأمون وفداً [٤٠] سياسيا من ثلاثة اشخاص من علية القوم احدهم (العباس بن موسى بن عيسى) لاقناعه بتقديم ابنه (موسى) عليه في العهد ، ويذكر الطبري ان العباس بن موسى قام خطيبا وصار يهون على المأمون تقديم (موسى بن الامين) عليه ، وذكره بتنازل [٤١] (عيسى بن موسى) عن ولاية العهد مرتين ، فصاح به الفضل بن سهل (اسكت ، فان جدك كان في ايديهم اسيرا وهذا بين اخواله وشيعته) [٤٢] وانتهت محاولات الوفد بالخيبة .

ثم استطاع الفضل بدهائه أن يستميل العباس بن موسى حتى أخذ عليه البيعة للمأمون ، ويبين ابن سهل كيفية ذلك فيقول : (قلت للعباس : لك عندي ولاية الموسم ولا ولاية اشرف منها ، ولك من مواضع الاعمال بمصر ما شئت)

---

(٣٨) الطبري ٨ / ٣٧٩
(٣٩) الطبري ٨ / ٣٧٩ ـ ٣٨١
(٤٠) الطبري ٨ / ٣٧٥
(٤١) الكامل ٦ / ٤٤
(٤٢) الطبري ٨ / ٣٧٦



وقال : (فما برح حتى اخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة فكان بعد ذلك يكتب الينا بالاخبار ويشير علينا بالرأي) [٤٣]

ويستدل من هذا الحادث ان من اهم العوامل التي ادت الى فشل الامين ان بعض حاشيته كانوا يقدمون منافعهم الشخصية بينما رأينا الفضل بن سهل(وزير المأمون) يؤكد انه لم يصحب المأمون ليكسب مالا قل او كثر وان همته تتجاوز كل ما يجوز أن يملك الى جعل الملك فارسياً كسروياً .

وبعد ان فشل الوفد في مساعيه لم يبق بد من النزاع المسلح فأمر الامين في اوائل سنة ١٩٥ هـ بالامساك عن الدعاء للمأمون واعلن البيعة لابنه موسى ولقبه (الناطق بالحق) .

واستمرت المحاولات الدبلوماسية تأخذ طريقها وتؤدي مفعولها حتى أثناء الحرب فقد حاول المأمون أن يستميل (علي بن عيسى بن ماهان) حينما ارسله الامين لمحاربته ، ويثبط عزمه عن الحرب ، كما استطاع (طاهر بن الحسين) ـ وكان قد علم بعظم الجيش الذي ارسله الامين بقيادة (أحمد بن مزيد وعبدالله بن حميد بن قحطبة) ـ أن يبث جواسيسه وعيونه ليرجفوا الاشاعات والدعايات التي أدت الى بث الشقاق والتفرقة في الجند حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضا . ثم كاتب أصحاب الامين ووعدهم ومناهم وأوغر الاصاغر بالقادة حتى غضبوا[٤٤] ورجعوا من غير ان يلقوا[٤٥] طاهراً بن الحسين قائد جيوش المأمون .

ولقد فصلت المراجع التاريخية[٤٦] في ذكر حوادث الحروب والوقائع

---

(٤٣) الطبري ٣٨٦/٨ .
(٤٤) مروج الذهب ٣ / ٣١٢
(٤٥) الكامل ٦ / ٢٥٦
(٤٦) الطبري ٨ / ٣٩٠ ـ ٤٩٥ ومروج الذهب ٣ / ٣٠٣

التي دامت ثلاث سنوات (١٩٥ - ١٩٨ ﻫ) تفصيلا لا نرى ضرورة لسردها في هذا المجال ويمكن الرجوع اليها في مراجعها •

الا ان من المفيد ان نلقي الضوء على بعض الملاحظات •

١ - تدل الاخبار على منعة الامين في بادىء الامر وتخوف المأمون من التصدي له ، فهذا الطبري يروي ان المأمون لما قرأ الكتاب الذي طلب فيه الامين الشخوص الى بغداد (اسقط في يده ، وتعاظمه ماورد عليه منه ،ولم يدر مايرد عليه[٤٧]) •

وعندما أشار عليه الفضل بن سهل الثبات في موقفه قال : (وكيف يمكنني التمسك بموضعي ومخالفة محمد ، وعظم القواد والجنود معه ، واكثر الاموال والخزائن قد صارت اليه) [٤٨] ولما نصحه الفضل بالثبات فاما الظفر واما الموت مكرماً أجابه المأمون قائلا: (ان هذا الامر لو كان اتاني وانا في قوة من امري وصلاح من الامور كان خطبه يسيرا والاحتيال في دفعه ممكناً) [٤٩] • وأشار الى رغبته في الفرار والاستجارة بملك الترك ليأمن على نفسه •

وهذا التنوخي يروي لنا عن جبريل بن بختيشوع[٥٠] انه سمع المأمون يتحدث عما وقع له في خراسان (وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى وما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي ، وقع في نفوس عسكري جميعاً أن طاهراً ذاهب ، ولحق أصحابي إضاقة شديدة وظهرت فيهم خلة ونفد ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير وأفضيت الى حال كان أصلح ما فيها الهرب فلم ادر الى اين اهرب ولاكيف اجد ، فبقيت حائرا متفكرا وكنت نازلا في دارابوابها حديد ولي متشرفات اجلس فيها اذا شئت ، وعدة غلماني ستة عشر

---

(٤٧) الطبري ٨ / ٤٠٣
(٤٨) الطبري ٨ / ٤٠٣
(٤٩) الطبري ٨ / ٤٠٣
(٥٠) طبيب هارون الرشيد

غلاما لااملك غيرهم اذا بالقواد والجيش جميعا قد شغبوا علي وطلبوا ارزاقهم وولغوا جميعاً يشتمون وتكلموا بكل قبيح [٥١]) •

ويذكر كيف أن الفضل بن سهل كان يشجعه ويثبته ويصبره ثم يقول عنه : (فألح علي الى أن صعدت وأنا وجل فجلست في المشرفات وأنا أرى العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والشتم •••)

ويستمر في وصف جزعه وهلعه وفي تصوير اضطراب جنده واشعالهم النار وجدهم في الهدم والحريق حتى كشفت عنه الغمة وأتاه الفرج بخبر مقتل علي بن عيسى •

وعلى الرغم من أن الدكتور الدوري قد فصل في ذكر الملاحظات المهمة عن سير الحروب ووقائع الفتنة بين الاخوين وشخص بعض العوامل[٥٢] التي أدت الى فشل الامين في نزاعه مع المأمون ، فيمكننا أن نرجع العامل الاساس الذي يمكن استخلاصه منها الى امرين مهمين هما :

١ ـ شدة تمسك قواد المأمون وأتباعه بما كانوا يرمون اليه ، اذ أحيا المأمون أمالهم بوجوده في خراسان فصاروا يتطلعون الى توطيد عز الفرس ويأملون بانتقال السلطة اليهم وقد تجلى ذلك للمأمون بعد فترة وجيزة من تسلمه للخلافة وقبضه على مقاليد الحكم بيد الحزم والقوة ، حينما شعر بتحرك (الفضل بن سهل) ضد العرب ، لجعل الملك كسرويا ، فقضى عليه •

٢ ـ الاساليب المختلفة التي مارسها الفرس ، فقد عمدوا الى التشهير بالامين والصاق التهم ونشر الاراجيف حوله وقاموا بترويجها حتى عمت الافاق •

ومارسوا الدسائس بمختلف الطرق لابعاد انصاره ومؤيديه عن نصرته

---

(٥١) الفرج بعد الشدة ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦

(٥٢) العصر العباسي الاول ص ٢٠٠

وتأييده . فنجحت مساعيهم مع (العباس بن عيسى) و (حسين بن علي) من أتباع الامين ، كما استطاع (طاهر بن الحسين) أن يفرق عدداً من جيوش الامين قبل القتال لانه بث فيها دعايات ولدت الشقاق بينها وأدت الى تمزيقها وخسرانها

ولا بد لنا أن نقول بعد هذا أن الظروف التي أحاطت بالامين من جوانب عديدة هي التي رسمت له هذه النتيجة فأحالت قوته ضعفاً وجعلت غلبته خسرانا ، وصيرت حكمته وشجاعته جهلا وجبنا ، وحزمه وعزمه ركوب هوى وسوء تدبير ...

ومن المفيد ان نشير بعد كل ماذكرنا الى ان عمل الامين في السعي الى خلع اخيه من ولاية العهد والبيعة لولده والذي ادى في النتيجة الى تلك النهاية المؤلمة .. لم يكن غريباً وجديداً في العصر العباسي .

ولكن الجديد في الامر هو اشتداد شأن الفرس وقوة تمسكهم بحق المأمون بالخلافة متخذين من ذلك ذريعة للوصول الى الحكم وسبيلا للانتقام من الخلافة العباسية التي قبرت تحرك الاطماع الفارسية طيلة العهود السابقة .

لقد سبق الامين الى ذلك جداه ابو جعفر المنصور ومحمد المهدي .

اذ كان أبو العباس قد عقد بولاية العهد (لعيسى بن موسى) بعد أبي جعفر المنصور ، فسعى المنصور الى اقناع (عيسى) بالوسائل المختلفة لخلع نفسه ، ويفصل الجهشياري[٥٣] في الروايات التي وردت حول ذلك ، حتى تم للمنصور خلع (عيسى) بن موسى وتقديم المهدي عليه .

ويروي ابو الفرج الاصفهاني اباتا قالها (عيسى بن موسى) في ذلك[٥٤] .

---

(٥٣) الوزراء والكتاب ص ١٢٦

(٥٤) الاغاني ١٦ / ١٧٧ ومختار الاغاني ٥ / ٢٣٥

خيرت امرين ضاع الحزم بينهما   اما صغار واما فتنة عمم
وقد هممت مراراً أن أساقيهم   كاس المنية لولا الله والرحم
ولو فعلت لزالت عنهم نعم   بكفر أمثالها تستنزل النقم

وما ن مر على تولي المهدي للخلافة حول واحد حتى سعى أيضا الى حمله على خلع نفسه مرة اخرى وعقد بولاية العهد لابنه (موسى الهادي[55]) •

فلما تولى الهادي الخلافة وكان ابوه قد عقد بالعهد لهارون الرشيد بعد الهادي ، اراد خلع اخيه هارون والعمل على البيعة لابنه جعفر ، وقيل (ان القواد قد تابعوه على ذلك فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر بن موسى ودسوا الى أنصارهم فتكلموا في أمر الرشيد وتنقصوه في مجلس الجماعة ، وأمر الهادي الا يسار قدامه بحربه ، فاجتنبه الناس وتركوه فلم يكن احد يجترىء ان يسلم عليه ولا يقربه[56]) •

وهكذا نرى أن أموراً مماثلة قد وقعت لعدد من شخصيات الخلافة العباسية •• ولو كان ـ على سبيل المثال ـــ قد قدر لهارون الرشيد الخليفة ان يغلب على امره مع اخيه موسى الهادي الذي كان قد سعى الى خلعه والى ذكره بالسوء والانتقاص من امره لانتزاع العهد منه الى ولده جعفر ،لما وقف التأريخ عند الرشيد أكثر من الوقفة عند الامين ولوسمه بما أشاع عنه الخليفة الغالب ، ولصارت المحامد مساوىء ولخسرت الخلافة العباسية عصرها الذهبي على عهد الرشيد •

---

(٥٥) الوزراء والكتاب ص ١٤٥
(٥٦) الطبري ٨ / ٢٠٧

الفصل الثاني

شخصية الخليفة الامين

١ ـ تأديبه وتعليمه

٢ ـ صفاته واخلاقه بين الحقيقة والوضع

٣ ـ صور من الوضع والتحريف ٠ تحليلها ومناقشتها



الفصل الثاني
شخصية الخليفة الامين

الخليفة الامين شخصية عربية كتب عليها ان تكون ضحية الصراع الفارسي العربي الذي بلغ اشده على عهده •

وقد يمر عهد خليفة أو ملك ثم ينتهي فيدون له التاريخ أخباره بخيرها وشرها الا الخليفة الامين الذي لم يسجل له التاريخ في الغالب من اخباره او اخلاقه الا كل مذموم حتى قال فيه ابن الاثير : (لم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره من حلم او معدلة او تجربة حتى نذكرها) [١] •

ووصفه المسعودي بأنه (كان عاجز الرأي ضعيف التدبير غير مفكر في امره) [٢] •

وقد سلطت اضواء التاريخ بشكل عجيب على نعت الامين بهذه الصفات وامثالها • • ومع ذلك فقد تناثرت لدى بعض المؤرخين بعض الاقوال والاخبار عنه نستطيع بعد جمعها ونقدها وتحليلها ومعرفة ابعادها ان نقرر ان التناقض والتحريف والوضع والتشويه الذي مارسه عدد من كتاب التاريخ مما سبق ان اشرنا اليه بدوافع شعوبية وعصبية فارسية ، كان واضحاً تماماً فيها •

ولا بد لنا قبل التفصيل في الحديث عن شخصية الامين وتحليل ما ورد من اخبار وحكايات حولها ان نعرض لبعض الامور الاساسية التي يجب ان لا تغفل في دراسة اية شخصية •

---

(١) الكامل ٦ / ٢٩٥
(٢) مروج الذهب ٣ / ٣٠٧

فالامين هو شخصية عربية هاشمية تحدرت من صلب أعظم خلفاء بني العباس الخليفة هارون الرشيد،وربي في حجر سيدة عظيمة لم يذكر التاريخ مثيلا لها في بعد النظر وسلامة الرأي والحكمة والسداد في توجيه الامور هي السيدة زبيدة التي عدها الجاحظ ضمن الامور التي اتيحت للرشيد مما لم يتح لغيره [٣] من الخلفاء فأهلته لان يجعل عهده العصر الذهبي للدولة العباسية .

تأديبه وتعليمه

وقد لقي الامين من والده الخليفة الرشيد العناية والاهتمام بتثقيفه في سن مبكرة .

ويروى عن أشجع السلمي الشاعر أنه قال : [٤] دخلت على محمد الامين حين أجلس مجلس الادب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته :

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة في ربا بطائحها ماء النبوة ليس فيه مزاج [٥]

وقام على تأديبه خيرة علماء عصره كالكسائي والاصمعي وغيرهما ممن عرف بصدق الدين ومتانة الخلق واتساع الاطلاع وكان الرشيد يشرف على ذلك بنفسه ويؤكد على مؤدبه (الاصمعي) بألا يعلمه ما يفسد عليه دينه .

وقد نقل التنوخي عن بعض كتب الاصمعي أنه لما اختير لتأديب ولده أمير المؤمنين ، مثل بين يديه فقال له : [٦] (اعلم ان ولد الرجل مهجة قلبه ، وثمرة فؤاده ، وها انا اسلم اليك ابني بأمانة الله ، فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه ، فلعل

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٨٦
(٤) الاغاني ١٨/١٥٦
(٥) وردت الابيات في مروج الذهب ٣/ ٣٠٨ (في ذرى بطائحها)
(٦) الفرج بعد الشده ١ / ٢٢٢

ان يكون اماماً) وقال (فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين وروى الشعر واللغة وروى أيام الناس وأخبارهم ، واستعرضه الرشيد فأعجب به)

ولعل في الوصية التي تقدم بها الرشيد الى (احمر) [٧] مؤدب ولده الامين دليلا آخر على مدى اهتمامه به وحرصه عليه وايثاره له .. اضافة الى ما فيها من اراء تربوية سديدة وآداب عربية أصيلة يؤكد عليها اذ قال : [٨] (يا أحمر ، ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين .

أقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ،وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي اوقات الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة) .

ويحدثنا الدينوري عن الكسائي انه قال : (ولاني الرشيد تأديب محمد وعبدالله فكنت أشدد عليهما في الادب واخذهما به أخذاً شديداً وبخاصة محمداً) [٩]

ثم يروي عن الاصمعي أن الرشيد طلب اليه أن يختبر الاميرين (الامين والمأمون) قال : فكنت لا القي عليهما شيئاً من فنون الادب الا اجابا فيه واصابا ،

---

(٧) هو علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الامين وكان مشهوراً بالنحو واتساع الحفظ ،مات سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ ترجمته في طبقات الادباء ص ١٢٥

(٨) مقدمة أبن خلدون ص ٦٣٢

(٩) الاخبار الطوال ص ١٨٣

فقال الرشيد : كيف ترى أدبهما ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما [١٠]

ثم عهد الرشيد الى الفضل بن يحيى البرمكي [١١] (أقدر أولاد يحيى) تدريب الامين في الادارة والسياسة ، وعهد بالمأمون الى جعفر ، وكان الفضل اكبر رتبة عند الرشيد من جعفر رغم أنه كان اكثر ميلا الى جعفر ، وكان متميزاً على اخيه بالجد والحزم ، قال فيه ابن الاثير : [١٢] (وكان من محاسن الدنيا التي لم ير في العالم مثله)

ولم يقف الرشيد عند تثقيف الامين وتعليمه نظرياً في الدين والسنن وفي الادب واللغة والسير والاخبار وفي الادارة والسياسة ، وانما عمد الى تدريبه على الخلافة عملياً فكان اذا جلس في مجلسه جعله عن يمينه [١٣] وجعل المأمون عن يساره ، وكان يسند اليه بعض الاعمال والمهمات ليتمرن على القيادة وامامة المسلمين وسياسة الدولة ، فمن ذلك ما رواه التنوخي [١٤] عن بعض كتب الاصمعي حينما كان يقوم بتأديب الامين في صغره ، ان الرشيد دعاه مرة وقال له : يا عبد الملك اريد ان يصلي بالناس اماماً في يوم جمعة ، فاختر له خطبة وحفظه اياها ، قال الاصمعي : (فحفظته عشراً ، فخرج فصلى بالناس وانا معه فأعجب الرشيد به وأخذه نثار الدراهم والدنانير من الخاصة والعامة واتتني الجوائز والصلات علي من كل ناحية .. الخ)

وكان الرشيد يعتمد على الامين في ادارة البلاد اذا ما غاب عن مركز الخلافة ، فيخلفه [١٥] عليها ليتولى الامور ، ولا نشك في ان هذا مظهراً مهماً من مظاهر الاعتماد عليه والحرص على تدريبه على الخلافة وادارة شؤون الدولة.

---

(١٠) الاخبار الطوال ص ٣٨٣
(١١) الوزراء والكتاب ص ١٩٣
(١٢) الكامل ٢١٠/٦
(١٣) طبقات الشعراء ص ١٤٩
(١٤) الفرج بعد الشدة ص ٢٢٢
(١٥) الوزراء والكتاب ص ٢٦٦ والطبري ٣٣٨/٨

صفاته وأخلاقه

أما صفاته الجسمية فيقول فيها الطبري [١٦] والمسعودي [١٧] وابن الاثير [١٨] والاربلي [٦٩] وغيرهم ، أنه كان سبطا انزع أبيض صغير العينين أقنى جميلا طويلا عظيم الكراديس ، ويصفه الشابشتي [٢٠] على لسان عريب [٢١] بأنه كان أحسن خلق الله مع حسن خلق .. ويضيف المسعودي أنه كان في نهاية الشدة والقوة والبطش ، ويروي لنا قصة غريبة عن مدى جرأته وشجاعته وقوته في منازلة سبع هائل حتى أوقعه ميتاً .

ومما يفيدنا في الدلالة على شدته وحزمه رسائله التي بعث بها الى أخويه المأمون وصالح والى قواده حيث أوصاهم بعدم التهاون مع من يقف منهم موقف العداء ، قال في رسالته الى المأمون (فمن أنكرته عند بيعته أو أتهمته على طاعته فابعث الي برأسه مع خبره واياك واقالته فان النار اولى به [٢٢] .

كما عبر عن مثل ذلك في رسالته الاخرى الى أخيه صالح اذ قال : (فان شغب شاغب أو نعر ناعر ، فاسطر به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) [٢٣]

ومثل ذلك ما يرويه المسعودي [٢٤] عن الامين أنه قصف طاهر مرة ، قال : (فبينا طاهر في بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه :

---

(١٦) الطبري ٤٩٩/٨

(١٧) مروج الذهب ٣٠٧/٣

(١٨) الكامل ٢٨٩/٦

(١٩) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٧١

(٢٠) الديارات ص ١٦٥

(٢١) جارية اشتهرت بالشعر والغناء في العصر العباسي عاصرت الامين والمأمون والمعتصم ..

(٢٢) الطبري ٣٦٧/٨

(٢٣) الطبري ٣٦٨/٨

(٢٤) مروج الذهب ٣٠٨/٣ وجمهرة رسائل العرب ٣٦٥/٣

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أنه ما قام لنا مذ قام قائم بحقنا وكان جـزاؤه الا السيف ، فانظر لنفسك أودع) • قال : فلم يزل والله يتبين موقع الكتـاب من طاهر ، فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم (والله ما هذا كتاب مضعوف ، ولكنه كتاب مخذول) •

ويروي لنا الطبري عن الامين خبرا مفاده : ان منجمه أتاه مرة ، وكان قد نوى السير للحرب فقال له :

(أصلح الله الامير ، لو انتظرت بمسيرك صلاح القمر ، فان النحوس عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة منصرمة ، فقال الامين لغلام له : ياسعيد : قل لصاحب المقدمة يضرب بطبله ويقدم علمه ، فانا لا ندري ما فساد القمر من صلاحه ، غير انه من نازلنا نازلناه ومن وادعنا وادعناه وكففنا عنه ومن حاربنا وقاتلنا لم يكن الا إرواء السيف من دمه ، انا لا نعتد بفساد القمر ، فانا وطنا أنفسنا على صدق اللقاء ومناجزة الاعداء)[٢٥] •

وعلى الرغم من ان صاحب الخبر قد قصد الى اثبات ان خروج الامين عن الاخذ بنصح منجمه هو ضرب من سوء التدبير وركوب الهوى فاننا نرى أن هذا الموقف يدل على قوة شخصيته وعدم رضوخه الى خرافات الفأل والتنجيم ، كما يدل من جهة أخرى على شدة العزم والحزم في تنفيذ الامور •

وتدل بعض الاشارات التاريخية على حرصه على ادارة شؤون الدولة ، وقضائه الليل في النظر في تدبيرها،فيروي الطبري أن عمرو بن حفص مولى الامين قال : [٢٦] (دخلت على محمد في جوف الليل وكنت من خاصته أصل اليه حيث لا يصل اليه أحد من مواليه وحشمه ، فوجدته والشمع بين يديه وهو يفكر ، فسلمت عليه فلم يرد علي،فعلمت أنه في تدبير بعض أموره ، فلم أزل واقفاً على

---

(٢٥) الطبري ٤٠٧/٨

(٢٦) الطبري ٣٩٩/٨

رأسه حتى مضى أكثر الليل ثم رفع رأسه الي فقال : أحضرني عبداقة بن خازم ، فمضيت الى عبد الله فأحضرته فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل) .

افلا يدل هذا الخبر على شدة انهماك الامين بأمور الدولة ، والحرص على الاستشارة والمناظرة فيها .. ؟

ويذكر الطبري أيضا انه (لماهم بخلع المأمون والبيعة لابنه جمع وجوه القواد فكان يعرض عليهم واحدا واحدا) .

ويشير الجهشياري الى أنه كان لا يمتنع عن النظر في تدبير الامور حتى في حالة جلوسه للاصطباح فيروي كيف أنه لما اجتمعت عليه بعض الاعمال وكان قد عزم على الاصطباح فدخل عليه اسماعيل بن صبيح مذكرا اياه بان هذا اليوم هو الذي وعده ان ينظر فيه باعمال الخراج والضياع وجماعات العمال ، فلم يمتنع الامين قائلا (فاعرضه علي وانا آكل لاتقدم اليك فيه بما تحتاج اليه الى ان يرفع الطعام . ثم أتم النظر فيما يبقى ولا أسمع سماعا أو أبرم الباقي وأفرغ منه) (فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم وأقبل اسماعيل بن صبيح يقرأ عليهم ومحمد يأمر وينهى بأحسن أمر ونهي واشده ، وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء)[27] .

وتشير بعض الاخبار والحوادث التاريخية الى كرم اخلاقه والتزامه بالمثل الشريفة ، ويتجلى ذلك فيما يروى عن بعض خاصة الامين ان اسدا بن يزيد بن مزيد حينما كان يريد الشخوص لحرب طاهر بن الحسين قائد أخيه المأمون الذي كان قد أعلن عصيانه على الامين . كان ببغداد ابنان لعبد الله المأمون هما أكبر ولده مع امهما (أم عيسى) ابنة موسى الهادي ، فقال للامين : (ادفع الى ولدي عبد الله المأمون حتى يكونا اسيرين في يدي فان اعطاني الطاعة والقى الي بيده ، والا عملت فيهما بحكمي ، وأنفذت فيهما أمري . فقال : انت اعرابي مجنون ،

---

(٢٧) الوزراء والكتاب ص ٢٩٩/٣٠٠

ادعوك الى ولاء اعنة العرب والعجم ، واطعمك خراج كور الجبال الى خراسان وارفع منزلتك عن نظرائك من ابناء القواد والملوك ... ؟ وتدعونني الى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي ؟ ان هذا للخرق والتخليط)[٢٨] .

وهذا وان عده بعض الباحثين [٢٩] من عوامل سقوطه ، الا أنه على كل حال مظهر من مظاهر التمسك بالقيم والمثل التي يرفض الامين ان يحيد عنها حتى في احرج الظروف .

ويصف الاربلي[٣٠] الخليفة الامين بانه (كان يعطي الصلات الكثيرة) .

ويتواتر وصفه على ألسنة شعراء المديح بالكرم والورع ورباطة الجأش، والشجاعة والجرأة والحكمة وسداد التفكير .. وقد لا يكون المديح معيارا دقيقا لصدق اتصاف الممدوح بما يمدح به فان من عادة الشعراء ان يتزيدوا في القول ويبالغوا في المدح رغبة .. ومع ذلك فان مثل هذا الشعر لا يمكن اغفاله في دراسة أية شخصية سيما اذا اتفق الوصف لدى اكثر الشعراء .

ومما يؤكد صدق اتصافه بتلك الصفات مراثيه الكثيرة التي عبر فيها الشعراء عن لوعتهم وصدق حزنهم ونعتوه بأفضل الصفات واحسن المزايا .

ولا أريد ان اطيل في هذا المجال .. فقد تناولته مفصلا في الفصلين اللذين افردتهما لدراسة مدائحه ومراثيه وسيقف القارىء الكريم على صدق ما ذهبت اليه في هذا الصدد .

ولقد لحق شخصية الامين الكثير من الوضع والتشويه ولا يخفى ان الدعاية الفارسية قد لعبت دورا كبيرا في ذلك ، فقد (سارت الركبان في الافاق بغدر محمد وبحسن سيرة المأمون ، فاستوحش الناس منه ، وانحرفوا عنه وسكنوا الى المأمون ومالوا اليه) (×) .

---

(٢٨) الديارات ص ١٦٥

(٢٩) العصر العباسي الاول ص ١٨٧

(٣٠) خلاصة الذهب ص ١٧٢

(×) الوزراء والكتاب ص ٢٩٢ .

ونسبت الى الامين الكثير من الصفات التي لا تصدق لانهـا لا يمكن ان تنسجم مع واقع الحال ولا تتفق مع ما عرف عنه من كرم المـولد وشرف البيت وجودة التأديب والتنشئة ، ورصانة الاعداد للمهمات ، كما لا تثبت امام الدراسة والتحليل والنقد .

ويلاحظ الباحث ان الاخبار التي تناولت شخصية الامين بالتشـويه قد وصلتنا في صور متعددة يتجلى فيها جميعها أثر الوضع والدس والتحـريف ، عرض بعضها على شكل اساطير خيالية [٣١] يمكن ان تشيع على السنة العـامة بسـهولة .

وجاء البعض الاخر على شكل أخبار أو أقوال منسوبة الى هارون الرشـيد في الامين وصفاته وولاية العهد له .

أما الصورة الاخرى ، فقـد وردت منسـوبة الى بعض أصحـاب الامـين واخصائه ممن كانت لهم أياد واضحة في تسعير الفتنة ، حتى اذا ما قتل الامين ، وتولى المأمون الخلافة ، رأيناهم يعملون على تبرئة أنفسـهم من مناصرته عـلى الخلاف وتأييده عليه ، فنسبوا اليه التفرد بالرأي والطيش وسوء التدبير ، وقـد استغل الفرس ذلك كله وعملوا على اثارته وتوسيع انتشاره .

وجاء القسم الاخر على شكل اضافات تبدو ملصقة [٣٢] باخبار مقبولـة معقولة في الجزء الاول منها .

وهكذا رأينا الوضع والتحريف والتشهير الذي لحق بشخصية الخليفـة الامين باديا في صور متعددة وأساليب متنوعة لا تخفى على الباحث النـاقد والعـين السليمة الفاحصة .

لقد تناول المؤرخون سيرة الامين قبل ولادته وأداروا حولـه الاخبـار والتنبؤات على تلك الصورة الاسطورية التي أشرنا اليها .

---

(٣١) الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٠ ومروج الذهب ٣٠١/٣
(٣٢) الوزراء والكتاب ص ٣٠٠ والطبري ٣٩٩/٨

فيروي المسعودي [٣٣] عن العتبي وغيره :

(ان زبيدة رأت في المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس ، فقعدت اثنتان عن يمينها ، وواحدة عن يسارها ، فدنت احداهن ، فجعلت يدها على بطن ام جعفر ثم قالت :

ملك عظيم البذل ، ثقيل الحمل ، نكد الامر • ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مغلول الحد ممذوق الود ، تجور احكامه وتخونه أيامه • ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت : قصاف عظيم الايلاف كثير الخلاف ، قليل الانصاف قالت : فاستيقظت وأنا فزعة ، فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمدا دخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسي ، ونظرن في وجهي ثم قالت احداهن :

شجرة نضرة وريحانة حسنة ، وروضة زاهرة • ثم قالت الثانية عين غدقة ، قليل لبثها ، سريع فناؤها ، عجل ذهابها • وقالت الثالثة : عدو لنفسه ، ضعيف في بطشه ، سريع الى غشه ، مزال عن عرشه • فاستيقظت وأنا فزعة ، وأخبرت بذلك بعض قهارمتي ، فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع • فلما تم فصاله أخذت مرقدي ومحمد أمامي في مهده اذا بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد ، فقالت احداهن : ملك جبار متلاف مهذار ، بعيد الاثار ، سريع العثار • ثم قالت الثانية : ناطق مخصوم ، ومحارب مهزوم ، وراغب محروم وشقي مهموم • وقالت الثالثة : احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه ، واعدوا جهازه ، فان موته خير من حياته • قالت : فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة ، وسألت مفسري الاحلام والمنجمين فكل يخبرني بسعادته وطول عمره ، وقلبي يأبى ذلك ، ثم زجرت نفسي وقلت : وهل يدفع القدر ان يقدر أحد أن يدفع عن احبابه الاجل •• ؟)

---

(٣٣) مروج الذهب ٣٠١/٣ ـ ٣٠٢

ولا نشك في أن هذا ضرب من التحزب والتضليل المتطرف ، قصد به الى التشويه بما يمكن ان يشاع على السنة العامة وعرض بهذا الشكل الاسطوري وبهذه النغمة اللفظية التي تستدرجهم وتحلو لهم .. وهي تكاد تقرب من اقاصيص (الف ليلة وليلة) المعروفة .

أما الصورة الثانية من الاخبار التي تناولت الامين وشخصيته فهي ضعيفة[٣٤] ظاهرة الوضع لا تثبت أمام النقد والتحليل .

فقد نسبت كتب التاريخ الى الرشيد بعض الاقوال والاخبار عن الامين والمأمون حينما عقد للامين عام ١٧٥ هـ بولاية العهد فتذكر أن الرشيد كان قد استشار الفضل بن الربيع في أمر العهد للامين فقال له : (وقد علمت أني ان وليت محمداً مع ركوبه هواه وانهماكه في اللهو والملذات خلط على الرعية وضيع الرأي ، وان صرفت الامر الى عبدالله ليسلكن بهم المحجة وليصلحن المملكة ، وان فيه لحزم المنصور وشجاعة المهدي) .

فهل يمكن أن يتصف الامين بركوب الهوى والانهماك في اللهو والملذات والتخليط على الرعية واضاعة الرأي .. ؟

ويتصف المأمون بالتعقل والاصلاح والحزم والشجاعة .. ؟ والاول في الخامسة من عمره والثاني في السادسة .. ؟

ثم يروي المسعودي [٣٥] ان الرشيد قال ليحيى البرمكي قبل عقد ولاية العهد للمأمون : (وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من أرضى سيرته وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ووهنه وهو عبدالله ، وبنو هاشم مائلون الى محمد بأهوائهم وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ومشاركته النساء والاماء في رأيه) [٣٦]

---

(٣٤) الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٠
(٣٥) مروج الذهب ٣/٢٧١
(٣٦) الطبري ٨/٥٠٨



فاذا علمنا ان الرشيد بايع سنة ١٨٣ ﻫ لابنه عبدالله المأمون بولاية العهد بعد الامين .. الا يحملنا على الاستغراب أن تنسب هذه الصفات اليهما والمأمون لم يتعد الثالثة عشرة من عمره .. والامين دون ذلك بعام .. ؟

وهكذا نرى أن مثل هذه الاقوال التي نسبت الى الرشيد والتي تناقلتها عن بعضها كتب الاخبار والتاريخ لا يمكن أن يؤيدها الواقع ولا تكاد تصمد أمام النقد .

ولعل ما ورد في كتاب الخليفة هارون الرشيد الى عماله في الامصار بتولية العهد من بعده لولديه محمد الامين ثم لعبدالله المأمون من صفات ، هي أقرب الى المعقول وأدل على الحقيقة دون الاشارة الى تمييز أحدهما على الاخر ، فقد بين ان الله قد بلغه بولديه كليهما أحسن ما أملت الامة ومدت اليه أعناقها ، وأنه تعالى قد قذف لهما في قلوب العامة من المحبة والسكون اليهما والثقة بهما ، لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم ما حملهم على اعطائهما البيعة وتوكيد الايمان بالعهود والمواثيق ، قال [٣٧] : (وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبدالله ـ ابني أمير المؤمنين ـ من تبليغه بهما أحسن ما أملت الامة ومدت اليه أعناقها ، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما ، لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهم ، وأعطوهما بيعتهم وصفقات ايمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الايمان المغلظة عليهم)

والغريب أن هذا الكتاب الذي يعبر صراحة عن ثقة هارون الرشيد بولديه الامين والمأمون ، لحسن اعدادهما لمهمات العهد ولبلوغهما أحسن ما تؤمل العامة لقيادتها ، ـ على حد سواء ـ لم يتداول في كتب الاخبار والتاريخ تداول الاقوال

---

(٣٧) الطبرى ٢٨٣/٨ وجمهرة رسائل العرب ص ٢٣٨/٣

التي عملت على التشهير بالامين والاساءة اليه ، ولذا نعـود فنؤكد أن التـاريخ لم يكتب غالباً بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن مسخ الحقائق وتحريفهـا فأظهر بالشكل الذي يخدم مصالح الشعوبية ويطمس معالم الشخصيات العربية اللامعـة التي ناوأت الحركات العنصرية

أما الصورة الثالثة للاخبار الموضوعة فقد نسب الى بعض خواصه ممن عرف بالميل مع القوة والتقلب في المواقف •

وليس من شك في أن ثلب الامين من قبلهم اذا كان صحيحاً كان من باب تبرئة النفس من تحمل وزر الخلاف وتصعيد الفتنة من جهة ، ثم هو بمثابـة بطاقـة يحوز بها الثالب على رضى المأمون وأنصاره أنهم كانوا حريصـين على مثـل هذه الاقوال من خواص الامين بالذات لاقناع العامة بشهادة يقولها أقرب الناس اليه وأعرفهم به •

ومن ذلك ما يرويه الطبري [٣٨] عن الفضل بن الربيع [٣٩] أنه تحدث الى أسد بن يزيد بن مزيد فقال في الامين : (ينام نوم الظربان وينتبه انتباه الذئب همه بطنه ، يخاتل الرعاء ، والكلاب ترصده ، لا يفكر في زوال نعمة ولا يروي في امضاء رأي ولا مكيدة قد الهاه كأسه وشغلـه قدحـه ، فهو يجري في لهـوه والايام توضع في هلاكه ، قد شمر عبدالله له عن ساقه ، وفوق له أصوب أسهمه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد قد عبى له المنايا على متـون الخيل وناط له البلاء في أسنة الرماح وشفار السيوف) •

ثم قال : (ياأبا الحارث أنا واياك نجري الى غاية ، ان قصرنا عنها ذممنـا وان اجتهدنا في بلوغها انقطعنا وانما نحن شعب من أصـل ، ان قوي قوينا وان ضعف ضعفنا ، ان هذا قد القى بيده القاء الامة الوكعاء ، يشاور النساء ، ويعتزم

(٣٨) الطبري ٨/٤١٨

(٣٩) لاحظ مواقفة (الانتهازية) في الطبري ٨/٣٧٠ والوزراء والكتاب ص ٢٧٧ و ٣٠١ ـ ٣٠٢ وبغداد لابن طيفور ص ١٥

على الرؤيا ، وقد أمكن مسامعه من أهل اللهو والجسارة ، فهم يعدونه بالظفر ، ويمنونه عقب الايام ، والهلاك أسرع اليه من السيل الى قيعان الرمل ، وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه) .

وليس من شك في أن هذا الخبر وغيره محاولة لتبرير موقف يحاسب عليه ، وهو تبرير تبدو فيه الممالأة للمأمون ظاهرة واضحة .

ولعل من المفيد أن نورد شيئاً مما ذكره ابن طيفور [٤٠] عن مواقف الفضل بن الربيع من المأمون قبل انتصاره على الامين وبعده يرويها على لسان المأمون فيقول :

(وكان (يعني الفضل) في أيام الرشيد ، وحاله حاله يراني بوجه أعرف فيه البغضاء والشنآن ، وكان له عندي كالذي لي عنده ، ولكني كنت اداريه خوفاً من سعايته وحذراً من أكاذيبه ، فكنت اذا سلمت عليه فرد علي ، اظل لذلك فرحاً وبه مبتهجاً ، وكان صفوه الى الخليع) . ويقول أيضاً : (وكان يقف على هذا المنبر الذي بازائي مرة وعلى المنبر الغربي أخرى فيزعم اني المأمون ولست بالمأمون ثم هو الساعة يقرضني تقريض المسيح ومحمد عليهما السلام).

وهكذا نرى ان بعض حاشية الامين الذين نقلت عنهم بعض الاقوال والمواقف في ثلبه والانتقاص منه ممن لا يوثق بصدق أقوالهم ، وقد لاحظنا عليهم الكثير من المواقف التي تدل على التقلب والانتهازية .

وصورة أخرى للاخبار بدت كما سبق ان أشرنا على شكل اضافات يناقض اخرها أولها ولا يتفق معه أو يناسبه ، وهي كثيرة مبثوثة في كتب الاخبار والتاريخ[٤١] .

من ذلك ما أورده الجهشياري عن جلوس الامين للنظر في أعمال الخراج

---

(٤٠) بغداد ص ١٥

(٤١) الوزراء والكتاب ص ٤٠٠

والدواوين ، وكيف انه كان (يأمر وينهى باحسن أمر ونهي واشده ، وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء) ولكنه دعا بعد ذلك خادمه ليأمره بحرق تلك الكتب والاعمال بالنار ، حتى لحق به الفضل بن الربيع (وقد شق ثوبه وهو يقـــول : الله والله اعدل من ان يرضى ان يكون مدبرا أمور أمة نبيـــه محمد صلى الله عليه وسلم من هذه أفعاله .. ومحمد يضحك)[٤٢] .

وكأني بكاتب الخبر قد اثبته على حقيقته التي تتضمن شيئا من الواقع الذي ينصف الامين بما ينطوي على الثناء عليه ثم أراد العدول عنه لامر ، فألصق به اضافة تمحو ذلك الثناء وتزيله،وقد جاء ذكر هذا الخبرضمن ما أورده الجهشياري من اخبار عن الفضل بن الربيع مع الامين ، وربما أمكننا حصرها ضمن ما روي على لسان الفضل من اتهامات تسيء الى شخصية الامين .

وبالـغ المؤرخون في وصف ميلـه الى الترف فيذكر الطبري [٤٣] أنه : (لما ملك الامين وجه الى جميع البلدان في طلب الملهين ، ونافس في ابتياع فره الدواب وأخذ الوحوش والسباع والطير ، واحتجب عن أخوتـه وأهـل بيتـه وقواده ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ولهوه بقصر الخلـد وأمر بعمل خمـس حراقات في دجلة على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس)

ولكننا نعلم أنــه كـان لهذا التفنن في اللهو معنى آخر .. فهو مظهر من مظاهر اهتمام الخلفاء بالابهة ورغبتهم في السمو عن الرعية [٤٤]، والتاريخ العباسي حافل بأمثال هذا التفنن في الابهة والاسراف في اللهو من قبل أكثر خلفاء العصر

ولكنه كان خليفة مدحوراً تتناوشه الالسن بسلـب المحاسـن وتهويـل الصغائر وتناولته الاقلام المغرضة فشوه ذكره وحرفت صفاتـه والصقت به شتى الاكاذيب والاتهامات .

---

(٤٣) الطبري ٨/٥٠٨

(٤٤) العصر العباسي ص ١٨٧

وأخيراً .. لا بد لنا أن نقول : إن الامين لم يكن بالشخصية الضعيفة التافهة التي أظهرتها كتب التاريخ وانما هو رجل خانه القدر واشتدت عليه الامور فتهافت لذلك كل تدبير مهما بلغ استحكامه ، فاحيلت قوته ضعفاً وصارت محاسنه مساوىء ، وقديماً قيل : (اذا أقبلت الدنيا على أحد منحته محاسنه ومحاسن غيره واذا أدبرت الدنيا عن أحد سلبته محاسن نفسه)

وشهد بذلك أيضاً عدوه وعدو العرب (طاهربن الحسين) اذ قال لما ظفر بالامين : (اذا لم تساعد المقادير ، ضعفت التدابير) .

ولا أشك بعد ذلك أن ملكه كان قوياً وطيداً ومن المفيد أن أضيف على كل ما أوردت في هذا الصدد شهادة قالها الشاعر دعبل الخزاعي (وكان كارهاً للخلافة العباسية) من قصيدة في رثاء أحد بني خزاعة [٤٥] .

كما فتكت أسيافهم (بمحمد) وهدت مباني عرشه المتماسك

أو قوله مهدداً المأمون ومذكراً أياه بأيادي قومه في توليته الخلافة :

ويسومني المأمون خطة عارف أو ما رأى بالامس رأس محمد
نوفي على روس الخلائق مثلما توفي الجبال على رؤوس القردد
ونحل في اكناف كل ممنع حتى يذلل شاهقاً لم يصعد

---

(٤٥) قالها في احمد بن نصر بن مالك الخزاعي لما قفله هرون الواثق (شعر دعبل بن علي الخزاعي ص ١٦٢ وديوان دعبل ص ١٢٠

(٤٦) الشعر والشعراء ٧٢٧/٢ وشعر دعبل ص ٩٨

الفصل الثالث

مدح الامين

١ ـ ما قيل في ولاية العهد له

أشجع السلمي ، سلم الخاسر ، الرقاشي ، مروان بن أبي حفصة ، أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، أبو العتاهية ، ابراهيم الموصلي ، محمد بن ذؤيب العماني

٢ ـ مدائح أبي نواس للامين

٣ ـ مدائح : أشجع ، أبو الشيص ، أبو محمد التيمي ، النظام ، الحسين بن الضحاك ، علية بنت المهدي



الفصل الثالث

مدح الامين

ويبدأ الشعراء بمدح الامين منذ عقد الرشيد بولاية العهد لـه او قبلـه .. وقد وصلت الينا قصائـد ومقطعات في ذلك .. فأشجـع السلمي [1] يدخـل عليه [2] وهو ابن أربع سنين وقد اجلس مجلس الادب للتعليم فينشده :

حمـــد السرى وتصرم الادلاج	ولكـل ضيـق شـديدة افراج [3]
ملـك أبـوه وأمـه من نبعـــة	منهـا سراج الامـة الوهــاج [4]
شربـا بمكـة في ربـا بطحـائهـا	مـــاء النبـوة ليس فيـه مزاج
ملـــك على أمـوالـه لنوالـه	سطـو يكـون لهـا بـه ازعـاج
خير البريـــة للبريـــة من بـــه	وضح الهـدى للنـاس والمنهـاج

فتأمر له السيدة زبيدة بمائة الف درهم لانه مدحه بهـا وبكونهـا من بني هاشم ، (وقيل لم يملك الخلافة أحد أبـوه وأمـه من بني هاشم الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي) ومحمد بن زبيدة [5]) .

وكان الامين كثيراً ما يسمى باسم أمه لانها تفردت على أمهات الخلفاء بكونها

---

(١) اسجع السلمي : هو اسجع بن عمرو من بني سليم . له في الخليفـــة الرشيد مدائح كثيرة ترجمة في الاغاني ١٧/٣٠ وطبقات ابن المعتز ٢٥٠

(٢) الاغاني ١٨/١٥٦

(٣) الاوراق ص ٩٢

(٤) ورد التبيان الثاني والثالث في الاغاني ١٨/١٥٦ ومروج الذهب ٣/٣٠٨

(٥) مروج الذهب ٣/٣٠٨

عربية هاشمية ، وقد أشار الى ذلك سلم الخاسر[٦] في خطابه للرشيد حين عقد العهد لمحمد الامين [٧]

قـل للمنـازل بالكثيـب الاعفر	أسقيت غـاديـة السحاب الممطر
قد بايـع الثقـلان مهـدي الهدى	لمحمـد بن زبيـدة ابنـه جعفر
وليتـه عهـد الانـام وأمرهـم	فـدفعت بـالمعروف رأس المنكر
قـد وفـق الله الخليفـة اذ بنـى	بيت الخلافـة للهجان الازهر [٨]
فهو الخليفـة عن أبيـه وجـده	شهـدا عليـه بمنظر وبمخبر

وواضح أن الشاعر يرى أن في عقد ولايـة العهد لمحمد الامين دفعاً لرأس المنكر بالمعروف ، وان الرشيد كان موفقاً في عمله لانه بنى بيت الخلافة لمن كرمت تربته ، فهو خليفة عن أبيه وجده ، شهد له بذلك منظره ومخبره .

وربما أشار الشاعر بقوله (دفع رأس المنكر بالمعروف) الى الاطماع التي أحاطت بالحكم من قبل البارزين من بني العباس ، ويقول الطبري في ذلك (وكانت جماعة من بني العباس قد مدوا أعناقهم الى الخلافة بعد الرشيد لانه لم يكن لـه ولي عهد ، فلما بايع له (أي للامين) أنكروا بيعته لصغر سنه) [٩]

وربما أرادوا بذلك التعريض بالمأمون ، ويعزز ذلك قوله في البيت التالي : (الهجان الازهر) وقد صرح بعض الشعراء بتعريضهم بالمأمون فقال الرقاشي في مدح الامين :

---

(٦) سلم الخاسر : من المطبوعين المجيدين ، كان تلميذ البشار بن برد ، سمي الخاسر لانه تنسك ، فرقت حاله لذلك فلم يصبر فعاد الى ما كان عليه من الفسق والمجون (طبقـات بن المعتـز ص ٩٩
ب

(٧ تاريخ الخلفاء ص ٢٩١ ولم يرد البيت الثالث ، والاغاني ٢٣٤/١٩ ولـم يذكر سوى البيتين الثاني والثالث ، والطبري ٢٤٠/٨

(٨) الهجان : الكريم التربة ، الازهر : الابيض المضيء

(٩) الطبري ٢٤٠/٨

لـم تلـدة أمـة تعرف في الســوق التجـارا
لا ولا حــد ولا خـا ن ولا في الجري جـارا

وقال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة [١٠] أبياتاً ورفعها الى زبيدة ممتدحاً ابنها محمداً [١١]

لله درك يـا عقيلـة جعفر مـاذا ولـدت من العلا والسؤدد
ان الخلافة قـد تبين نـورها للناظرين على جبين محمـد

وقيل أن السيدة زبيدة أمرت بأن يملأ فمه دراً ، وحركت البيعة أبان بن عبد الحميد اللاحقي [١٢] فوصفه بأنه مهدي الملوك وخير الانام ، وأن الخلافة بينة في وجهه منذ الفطام وأنه نور واضح كالبدر المنور في الظلمة .. وأنه فرد الاعوام التي لا تصل الى مثله ألف منها ، فقال [١٣] :

عقـد الخليفـة بيعـة لمحمـد فعـلى التمام
لسـمي مهـدي الملـو ك محمـد خـير الانـام
سـيما الخـلافـة بـين في الـوجـه منه مع الفطام
نـور كـواضـح غرة البد ر المنـور في الظـلام
مصـداق مـا كنـا نحـد ث فيـه من ملـك الغمـام
لا قصـرت عنـه ولا وصلـت اليـه الـف عـام

أما أبو العتاهية فقد رأى في عقد الرشيد بولاية العهد من بعده لابنائه الثلاثة حرصاً على الامة لدفع الشر عنها وابعاد الفتنة من جهة ، وتجافياً عن الدنيا ويقيناً منه بأنه غير مخلد فيها وأنه مفارقها لا محالة من جهة أخرى .

---

(١٠) العقد الفريد ١/٣١٣
(١١) ترجمة في وفيات الاعيان رقم (٦٨٧) والاغاني ١٤٢/١٣ وطبقات ابن المعتز ٤٢ـ٥٤ والشعر والشعراء ٦٤٩/٢
(١٢) ابان بن عبدالحميد اللاحقي : شاعر مطبوع وهو صاحب البرامكة وهو الذي نقل كليلة ودمنه شعرا . طبقات ابن المعتز ص ٢٤٠
(١٣) الاوراق ص ٢٢

ولم ينس أن يجمع الاخوة الثلاثة في مديحه ، فبهم يشد عرى الاسلام وهم خير أبناء لخير والد ولخير أباء وجدود تلوح عليهم سيماء المهابة والجلال في قيامهم وقعودهم حول سرير الملك قال في ذلك [١٤] :

رحلت عن الربع المحيل قعودي	الى ذي زحوف جمة وجنود
وراع يراعي الليل في حفظ أمة	يدافع عنها الشر غير رقود
بألوية جبريل يقدم أهلها	ورايات نصر حوله وبنود
تجافى عن الدنيا وأيقن أنها	مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية	ثلاثة أملاك ولاة عهود
هم خير أولاد لهم خير والد	له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هارون حول سريره	فخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم	عيون ظباء في قلوب أسود
جدودهم شمس أتت في أهلة	تبدت لراء في نجوم سعود

وكانت ولاية عهد الرشيد لابنائه الثلاثة من بعده مدار حديث العامة ، واختلفوا بين مؤيد (كأبي العتاهية) الذي رأى أنه قد أحكم أمر الملك بعمله و (ابراهيم الموصلي) الذي رأى في بيعة هارون لابنائه أمراً محمود المغبة حرياً بالتمام اذ قال [١٥] :

خير الامور مغبة	وأحق أمر بالتمام
أمر قضى أحكامه الر	حمان في البيت الحرام

وبين منتقص له يرى أنه قد غرس غرساً به للفتنة (وأنه قد القى بأسهم بينهم وأن عاقبة صنعه في ذلك مخوفة) [١٦] .

---

(١٤) الاغاني ٤/١٠٦
(١٥) الطبري ٨/٢٨٦
(١٦) الطبري ٨/٢٧٦

وقالت الشعراء في ذلك أيضاً .. قال بعضهم (١٧) وقد عبر عما سيلقى من هول سيمنعه الرقاد ، وأمر سيطيل الكآبة والسهاد .

ثم لام الرشيد على رأيه في قسمة الخلافة والبلاد ، لانه قد غرس بذلك العداوة بين أبنائه وبدد شمل ألفتهم ، وألقح بينهم الحرب العوان ، ثم توقع ما سيحل بالبلاد من بلاء وتضعضع وفساد وجريان البحور من الدماء ، وحمل الرشيد بعد ذلك وزر ذلك كله .

أقول لغمة في النفس مني ... ودمع العين يطرد اطرادا
خذي للهول عدته بحزم ... ستلقي ما سيمنعك الرقادا
فانك ان بقيت رأيت أمراً ... يطيل لك الكآبة والسهادا
رأى الملك المهذب شر رأي ... بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقبه بعلم ... لبيض من مفارقه السوادا
أراد به ليقطع عن بنيه ... خلافهم ويبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل ألفتهم بدادا
وألقح بينهم حرباً عواناً ... وسلس لاجتنائهم القيادا
فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدى لها الكرب الشدادا
وألبسها بلاء غير فان ... وألزمها التضعضع والفسادا
ستجري من دمائهم بحور ... زواخر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبداً عليه ... أغياً كان ذلك أم رشادا

وربما كانت القصيدة قد قيلت بعد الاحداث الدامية التي جرت بين الاخوين وان كان الحديث فيها بصيغة المستقبل أو ربما قالها الشاعر قبل نشوب الصراع الدامي بزمن قصير .

---

(١٧) الطبري ٨/٢٧٦ ـ ٢٧٧

ويبدو أن الرشيد كان قد عقد [١٨] البيعة للامين سنة ١٧٣ هـ ولكنه لم يعلنها أو يظهرها ، ثم جددها وأظهرها عام ١٧٥ هـ بعد أن بايع له أهل المشرق [١٩] فكتب بذلك الى الافاق فبويع له في جميع الامصار ، ويفيدنا الادب في الاشارة الى هذه النقطة بالذات فقد روى أبو الفرج الاصفهاني أنه [٢٠] (لما حضرت الوفود من خراسان الى الرشيد تحضه على البيعة لابنه محمد قعد لهم الرشيد وتكلم القوم على مراتبهم وأظهروا السرور بما دعاهم اليه من البيعة لابنه ، وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العماني [٢١] ، فقام بين صفوف القواد ثم أنشأ يقول :

لما أتانا خبر مشهر	أغر لا يخفى على من يبصر
جاء به الكوفي والمبصر	والراكب المنجد والمغور
يخبر الناس ولا يستخبر	قلت لاصحابي ووجهي مسفر
وللرجال حسبكم لا تكثروا	فاز بها محمد فأقصروا
قد كان هذا قبل هذا يذكر	في كتب العلم التي تسطر

فالشاعر يعلن عن فرحته الكبرى باشهار الخبر الذي لم يعد خافياً على المبصر وهو فوز محمد الامين بولاية العهد ، ثم يعلن عن استبشاره بنشر العدل ، وبأن الله قد كفاهم المحذور وأبعد عنهم ما كانوايقدرون من فتن وحروب :

فقل لمن كان قديماً يتجر	قد نشر العدل فبيعوا واشتروا
وشرقوا وغربوا وبشروا	فقد كفى الله الذي يستقدر
بمنة أفعال [٢٢] ما قد يحذر	والسيف غنى مغمد ما يشهر

(١٨) الطبري ٨/٢٧٥

(١٩) الطبري ٨/٢٤٠

(٢٠) الاغاني ١٨/٢٣٢

(٢١) العماني : هو محمد بن ذؤيب الفقيمي ، وسمي بالعماني لصفرة وجهه ، ترجمته في الاغاني ١٨/٢٣١ وطبقات ابن المعتز ١٠٩ والشعر والشعراء ٢/٦٤١

(٢٢) ربما كان الاصوب (ابطال)

ويلتفت بعد ذلك الى مدح الامين فهو الاغر الازهر وهو نوء السماكين الذي يستمطر لجوده ،ويبين كيف أن الناس قد ابتهجوا به واستبشروا وهللوا حينما ثبتت أوتاد ملك العرب من بني هاشم ، وكيف أن بني العباس لم يدخروا جهداً في النهوض لملكهم فعقدوا ونزعوا ودبروا باحكام ، وأوردوا وأصدروا بحزم حتى كان لهم ما أرادوه بتولية العهد لمحمد الامين :

وقلد الامر الاغر الازهر ... نوء السماكين الذي يستمطر
بوجهه ان كان عام أغبر ... سرت به أسرة ومنبر
وابتهج الناس به واستبشروا ... وهللوا لربهم وكبروا
شكراً ومن حقهم أن يشكروا ... اذ ثبتت أوتاد ملك يعمر
من هاشم في حيث طاب العنصر ... وطاح من كان عليها يزفر
وعقدوا ونزعوا وأمروا ... ودبروا فأحكموا ما دبروا
وأوردوا بالحزم ثم أصدروا ... والحزم رأي مثله لا ينكر

ثم يوضح لنا في شعره أن الناس كالغنم اذا لم تدارك براع ذي خطر [٢٣] انتشرت فطرقتها الذئاب من كل مكان ونفرتها •• فيقول :

ما الناس الا غنم تنتشر ... ان لم تداركهم براع يخطر
على قواصي طرقها ويستر ... ويمنع الذئب فلا ينفر
فامنن علينا بيد لا تكفر ... مشهورة ما دام زيت يعصر

ويوضح لنا الشاعر أمراً لم تظهره كتب التاريخ صريحاً كما أورده ، فيطلب من الرشيد أن يحسم الامر وينظر فيه دون تأخير ، وأن يكون جسوراً في ذلك •

ثم يعلن عن لومه الشديد للخليفة الرشيد لتأخره في اظهار العقد ، ويبين حالة القلق التي يعيشونها وهم يفكرون في الفتنة المتوقعة التي سيهلك فيها الدين ،

---

(٢٣) الخطر : ارتفاع القدر والمال والشرف والمنزلة ، والخطير من كل شيء : النبيل • اللسان /خطر

ويكشف للرشيد عما سيجري اذا ما ولي الفرس الامر من ايثار ذوي قرباهم ، واستئثارهم ، واستكبارهم على من سواهم ، ثم يعرض بالمأمون ، ويشيد خلال ذلك بنقاء جوهر الامين واتصال نسبه بنبعة هاشم وبالنبي الاكبر فيقول [٢٤] :

وانظر لنا وخل من لا ينظر ... واجسر كما كان أبوك يجسر
لا خير في مجمجم لا يظهر ... ولا كتاب بيعة لا ينشر [٢٥]
وقد تربصت فليس تعذر ... فليت شعري ما الذي تنتظر
أنائم أنت به أم تسهر ... ما لك في محمد لا تقدر
وليت شعري والحديث يؤثر ... أترقد الليل ونحن نسهر
خوفاً على أمورنا ونضجر ... والله والله الذي يستغفر
لان يموت معشر ومعشر ... خير لنا من فتنة تستعر
يهلك فيها دينهم ويؤزروا [٢٦] ... وقد وفى القوم الذين نصروا
لصاحب الروم وذاك أصغر ... منه وهذا البحر لا يكدر
وذاكم العلج وهذا الجوهر ... ينمى به محمد وجعفر
والخلفاء والنبي الاكبر ... ونبعة من هاشم وعنصر
واعلم وأنت المرء لا يبصر ... والله يبقيك لنا وتجبر
منا ذوي العسرة حتى يوسروا ... ان الرجال ان ولوها آثروا
ذوي القرابات بها واستأثروا ... بها وضل أمرهم واستكبروا
والملك لا رحم له فيأصروا ... ذا رحم والناس قد تغيروا
فاحكم الامر وانت تقدر ... فمثل هذا الامر لا يؤخر

قيل : فلما فرغ الشاعر من هذه الارجوزة قال له الرشيد : أبشر يا عماني

---

(٢٤) الاغاني ١٨/٢٣٣ ـ ٢٣٤

(٢٥) هذه اشارة صريحة الى البيعة التي عقدت سنة ١٧٣ هـ ولم تنشر الا سنة ١٧٥هـ

(٢٦) يؤزروا : يصابوا بالوزر

بولاية محمد العهد ، فقال : اي والله يا أمير المؤمنين بشرى الارض المجدبة بالغيث ، والمرأة النزور بالولد ، والمريض المدنف بالبرء ، قال : ولم ذلك : قال : لانه نسيج وحده وحامي مجده وموري زنده ، قال : فما قولك في عبدالله ؟ قال: مرعى ولا كالسعدان [٢٧] ، فتبسم الرشيد وقال : قاتله الله من اعرابي ما أعرفه بمواضع الرغبة ، وأسرعه الى البذل والعائدة ، وأبعده من أهل الحزم والعزم والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء .

أما والله أني لأعرف في عبدالله حزم المنصور ونسك المهدي وعز نفس الهادي ، ولو شاء أن أنسبها الى الرابعة لنسبته اليها).

وينفرد أبو الفرج الاصفهاني برواية هذه الارجوزة التي تعد وثيقة مهمة لكشف الكثير من الحقائق التاريخية التي لم يشر التاريخ اليها بوضوح ، أو التي تجاوز ذكرها قاصداً ، ومن هذا الجانب بالذات تأتي أهمية دراسة الادب وربطه بالتاريخ وهو ما نحن بصدده في هذه الدراسة المتواضعة .

ولا يشك في أن الشعراء قد أكثروا من مدح الامين لانه الولي الاول للعهد ولانه ابن السيدة الجليلة زبيدة التي تناقلت كتب التاريخ والادب أياديها على الشعراء وصلاتها المجزية لهم .

ولقد أشار الرشيد الى ذلك ، فيروي صاحب الاغاني [٢٨] أنه قال للعباس بن محمد بن علي يوماً : يا عم : ان الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسببي

---

(٢٧) السعدان : اخثر العشب لبنا ، واذا اخثر لبن الراعية كان افضل ما يكون واطيب وادسم ، ومنابت السعدان : السهول وهو من انجع المراعي في المال (الابل) (مجمع الافعال ٢/٢٣٠) وفي اللسان (سعد) السعدان : بنت ذو شوك يستلقي فينظر الى شوكه كالحا اذا يبس ومنبته سهول الارض وهو من اطيب مراعي الابل مادام رطبا .

(٢٨) الاغاني ١٨ / ١٥٨

وبسبب (أم جعفر) [٢٩] •• ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه • فذكر العباس ذلك لاشجع وأمره أن يقول فيه فقال ـ وكان الرشيد قد عقد للمأمون بعد الامين ـ :

بيعة المأمون آخذة بعنان الحق في أفقه
احكمت مرانها عقداً تمنع المختال في نفقه
لن يفك المرء ربقتها أو يفك الدين من عنقه
وله من وجه والده صورة تمت ومن خلقه

وقيل أن أبا الغول التفت مرة وكان في حضرة الرشيد فاذا الامين قائم عن يمينه والمأمون عن يساره فأنشأ يقول [٣٠] :

بنيت لعبدالله بعد محمد ذراقبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها

ولما مات الرشيد تناوله الشعراء بالرثاء ولم ينسوا مدح الامين خلال ذلك وكان أشجع من أكثرهم قولا فقال يرثي الرشيد ويمدح الامين [٣١] :

امام قام حين مضى امام نظام ليس ينقطع النظام
بكى ذاك الانام أسى ووجداً وسر بذا الذي قام الانام
مضى الماضي وكان لنا قواماً وهذا بعد ذاك لنا قوام
امامان استقر بذا قرار وحول ذاك فاخترم الحمام
على ذاك السلام غداة ولى ودام لذا السلامة والسلام
سهام الموت تقصد كل حي ومن ذا ليس تقصده السهام

واستمر الشاعر يعقد لوفاة الخليفة الرشيد ولقيام الخليفة الامين ويجمع

(٢٩) وهي السيده زبيده وكانت تكنى بـ (ام جعفر)
(٣٠)طبقات الشعراء ص ١٤٩
(٣١) الاغاني ١٨ / ١٣٠

بين الحزن بالوفاة والسرور بالقيام ويمنح كليهما حقه من المديح حتى يقول في الامين :

لأظلم كل ذي نور ولكن بوجه محمد كشف الظلام
ولولا ملكه اذ غبت عنا لما ساغ الشراب ولا الطعام
فقد حي الحلال به فدرت لنا التقوى ومات به الحرام

وقال أيضاً في ذات الغرض (٣٢)

سحابة حزن بعد هارون أطبقت فلما بدا وجه الامين تجلت
تحيبت الدنيا عليه واعولت فبالمصطفى عن كل ماض تسلت

ولابي الشيص (٣٣) محمد بن عبدالله بن رزين الخزاعي في رثاء الرشيد ومدح الامين شعر ، فمما قاله في ذلك (٣٤) :

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في وحشة وفي أنس
العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الامين ويبكينا وفاة الامام بالامس
بدران بدر بغداد في الخلد وبدر بطوس في الرمس

وفرق كبير لا يفوت القارىء الكريم بين متانة وطلاوة ما قاله أشجع السلمي في المناسبة ذاتها وبين أبيات أبي الشيص .

وكان أبو نوّاس الشاعر أكثر من قال فيه روائع المديح ، وكان ينادمه ويخص به ، وقد استغلت تلك العلاقة للتشهير بالامين بسبب ما عرف عن أبي

---

(٣٢) الاوراق ص ١٢٨

(٣٣) ابو الشيص : هو ابن عم دعبل ترجمته في الاغاني ١٥ / ١٠٤ وطبقات ابن المعتز ٧٢ والشعر والشعراء ٢/ ٧٢١

(٤٣) طبقات الشعراء ص ٧٥ واشعار ابي الشيص ص ٧٠ والشعر والشعراء ٢ / ٧٢١ وتاريخ الخلفاء ص ١١٦

نواس من التهتك والمجون ، حتى لقد اتخذ الفضل بن سهل ذلك أمراً يزري به عليه ويعيبه به [٣٥] .

والحقيقة التي لا بد لنا أن نقف عندها هي أن أبا نواس كان شاعر العصر بدون منازع ، وكانت علاقته بقصر الخلافة وثيقة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وله فيه الكثير من القصائد الشعرية في مديحه أو رثائه .

ومن الطبيعي أن تكون الصلة كذلك بين شاعر العصر وبين الخليفة الامين فقد كان في أبي نواس من المؤهلات الشخصية والشعرية ما تدفع بالخلفاء الى الحرص على الاستئثار به لتحريك شاعريته فيما يرغبون به .. ولهذا رأينا المأمون يثني على أبي نواس دائماً ويفضله على سائر شعراء عصره [٣٦] ويقول فيه :

(والله لئن لحقته لأغنينه غنى لا يؤمله) [٣٧] ، ولكنه مات قبل دخول المأمون مدينة السلام .

ويبدأ أبو نواس بمدح الامين قبل الخلافة فيقول فيه [٣٨] :

تتيه الشمس والقمر المنير	اذا قلنا كأنكما الامير
فان يك أشبها منه قليلا	فقد أخطاهما شبه كثير
لأن الشمس تغرب حين تمسي	وان البدر ينقصه المسير
ونور محمد أبداً تمام	على وضح الطريقة لا يجور

ثم يقف الى جانبه في وفاة الخليفة الرشيد ليعزيه بخير الاموات وليمدحه بالصبر ورباطة الجأش أمام الخطوب ، ويرجو له بعد ذلك أن يدوم لعز الاسلام

---

(٣٥) الوزراء والكتاب ص ٢٩٥

(٣٦) مختار الاغاني ٣ / ٤٢

(٣٧) الوزراء والكتاب ص ٢٩٦ ومختار الاغاني ٣ / ٦٤

(٣٨) ديوانه (رواية الصولي) ص ٣٩٨

ونصرته ويدعو الله أن يصونه بالعين الحافظة ويجنبه الاقدار ليمتد عمره وليسوس الناس بالهدي المحمود والدين الوافر فيقول (٣٩) :

نعزي أمير المـؤمنين محمـداً	على خير ميت غيبتـه المقـابر
فان أمير المـؤمنين محمـداً	لرابـط جأش للخطوب وصابر
زهـت بـأمير المؤمنـين محمـد	أسرة ملـك واستقرت منـابر
فـلا زلت للاسـلام عزاً وناصراً	كمـا أنت للاسـلام عز وناصر
ولا زلـت مرعياً بعـين حفيظة	من الله لا تخطو اليـك المقـادر
تسوس أمور النـاس تسعين حجة	وهـديك محمـود ودينـك وافر

وما أن يتولى الامين الخلافة حتى يكون له شأن وأي شأن في شعر أبي نواس ويحظى بالجزء الاكبر من عالي الشعر وجيده في مديحه ، ولعل من روائعه المشهورة فيه ميميته التي استهلها على طريقة السابقين في الوقوف على الاطلال ، وكثيراً ما كان ينهج قبل هذا الاسلوب في مدائحه للخلفاء والامراء ، سالكاً مسلك أهل الجد فيقرع الآذان بالتعابير الفنية والالفاظ الرصينة .. قال (٤٠) :

يـا دار مـا فعلـت بك الايـام	ضـامتك والايـام ليس تضـام
عرم الزمـان على الذين عهدتهم	بـك قـاطنين وللزمـان عرام
أيـام لا أغشى لأهلـك منـزلا	الا مراقبـة على ظـلام

وكأني بأبي نواس يريد بعد هذا أن يؤكد للجميع أنه انما يقول قوله في الامين وقد بلغ من الخبرة بالحياة مبلغه ، وسبر غور الايام ، ووقف منها على الغث والسمين اذ قال :

---

(٣٩) ديوانـه (رواية الصولي) ص ٣٩٨

(٤٠) ديـوان ابي نواس ص ٤٠٧ وطبقـات ابن المعتـز ص ٢١٢ وقد ورد البيت الاول في ديوانه برواية الصـولي ص٥٠٣ وفي الطبقـات (لم تبق فيك

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ أمرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

ليصل بعد ذلك الى تقرير موقفه من الخليفة الامين وبيان مكانته بين الرجال والانام جميعاً .. بعد أن سعى اليه على ناقته السباقة الجريئة التي تخطت الاهوال وتجشمت المصاعب فيقول :

وتجشمت بي هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي أمام
قربتنا من خير من وطيء الحصى فلها علينا حرمة وذمام

ويقرر أن للمطايا التي أبلغته محمداً عليه حرمة وذماما ، وأنها يجب أن تصان وتكرم وأن تحرم ظهورها على الرجال .. ألم تبلغه خير الناس وأشرف الانام .. ؟

ثم يستمر بذكر مزاياه ويصفه بالجود المتواصل .. حتى لقد جعل عطاءه حبلا متصلا لا ينقطع .. وهو ملك متوحد بالمكارم والعلا ومتفرد فيها لا ند له فيها ولا مثيل فيقول :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اذا علقت يداك بحبله لا يعتريك البؤس والاعدام
ملك توحد بالمكارم والعلا فرد فقيد الند فيه همام

وينتقل بعد ذلك الى ذكر جوانب أخرى من مزايا شخصيته فيصفه بكونه محارباً شجاعاً ماهراً ، ثم ينعته بالسداد والحكمة في معالجة الامور وحل المشكلات حين تعتسر وتشتد برأي قاطع يفل السيف ، ثم يقول : انه الدواء الذي هيأه الله للقلوب لتفيق وتشفى مما أصابها من العمى .. ويكنيه اخيراً بهذه التكنية الجليلة (يا ابن زبيدة) التي تزيده هيبة وجلالا .. فهو ابن الخليفة الرشيد وقد يستوي مع غيره من أخوته بذلك ولكنه يتفوق عليهم ويتفرد بينهم بأنه ابن أشرف

النساء وأجلهن قدراً وأكرمهن خلقاً وأحصفهن عقلا انه ابن زبيدة ابنة جعفر المنصور .. فليسلم اذن للامر الذي يرجى له ..ولتتقاعس الايام عن يومه ..

سبط البنان اذا احتبى بنجاده فرع الجماجم والسماط قيام [41]
ان الذي يرضى الاله بهديه ملك تردى الملك وهو غلام
ملك اذا اعتسر الامور مضى به رأي يفل السيف وهو حسام
داوى به الله القلوب من العمى حتى أفقن وما بهن سقام
أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر أملا لعقد حباله استحكام
فسلمت للأمر الذي ترجى له وتقاعست عن يومك الايام

ومن روائعه في مديح الامين قصيدته النونية التي مطلعها [42]

يا من يبادلني عشقاً بسلوان أم من يصير لي شغلا بانسان

وقد سلك فيها مسلكه في القصيدة السابقة وتناول ذات المعاني التي وردت فيها بغير الالفاظ ، وزاد في نسبة بعض الصفات فقال :

أقول والعيس تعرورى الفلاة بنا صعر الأزمة من مثنى ووحدان [43]
لذات لوث عفرناة عذافرة كأن تضبيرها تضبير بنيان [44]
يا ناق لا تسأمي أو تبلغي ملكاً تقبيل راحته والركن سيان
متى تحطي اليه الرحل سالمة تستجمعي الخلق في تمثال انسان
مقابل بين أملاك تفضله ولادتان من المنصور ثنتان
مد الاله عليه ظل مملكة يلقى القصي بها والاقرب الداني

---

(٤١) النجاد : حمائل السيف ، السماط : الصف
(٤٢) ديوانه ص ٤٢٠ وبرواية الصولي ص ٥٢٥
(٤٣) تعرورى : تركبها عريا ، وصعر : مائلة الازمة نشاطا ، تسير في جانب (شرح الصولي ص ٥٢٦)
(٤٤) لوث : قوة ومنه اخذ الليث ، وعفرني : شديدة وعذافرة : صلبة (شرح الصولي ٥٢٦)

ثم يقول :

تازع الاحمدان الشـبه فاشتبها خلقـاً وخلقا كما قـد الشراكان
شـبهان لا فرق في المعقـول بينهما معناهما واحـد والعـدة اثنـان [٤٥]

وقد اخذ على أبي نواس هذا التشبيه من ذهب الى أنه عنى بقوله (الاحمدان) (النبي محمد (ص) ومحمد الامين الخليفة) وقيل فيه (بئس ما قال أبعده الله ، حاشا لرسـول الله (ص) وكرامـه أن يشبهـه الا الانبيـاء ، وهـو أكرمهم على الله عز وجل) [٤٦] .

وفهمه البعض على أنه أراد محمداً المهدي جده وهو أقرب الى الصـواب ، ويصفه بعد ذلك بكثرة العطاء كالقطر لا يمسك .

ان يمسك القطر لا تمسك مواهبه ولي عهـد يـداه تسـتهلان
هو الذي قـدر الله القضـاء لـه الا يكـون لـه في فضلـه ثـان
هو الذي امتحن الله القلـوب به عمـا تجمجم من كفر وايمـان

وكان أبو نواس يعلم أن من الثناء كذباً وافتعالا ، وما كان ليرضى أن يرى بمديح الامين مثل ذلك ، ولهذا وجدناه يؤكد دائماً بانه صادق فيالثناء عليه غاية الصدق ، وانه اذا ما شهد له العارفون بالاحسان والاجادة في مدحه ، فالفضـل كل الفضل في ذلك للامين ، لان الشاعر قد وجد فيه من المحامد والمكرمات ما مكنته من أن يملك قياد الثناء ويتصرف به .. قال [٤٧] :

ملكـت على طـير السعـادة واليمن وحزت اليك الملك مقتبل السـن
لقـد طـابت الدنيا بطيب محمـد وزيدت به الايام حسناً الى حسـن
ولولا الامين ابن الرشيد لما انقضت رحى الدين والدنيا تدورعلى حزن

---

(٤٥) البيتان ساقطان من رواية حمزة
(٤٦) رواية الصولي ٥٢٦ والشعر والشعراء ٢/٦٩١
(٤٧) ديوان ص ٤١٥

لقد فك أغلال العناء محمد وأنزل أهل الخوف في كنف الامن
اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ منا بمدحة لغيرك انساناً فأنت الذي نعني

ولم ينس الشاعر خلال ذلك أن يمدحه بكونه ركن الدين وسنده وأنه أحال الخوف أمناً والشدة رخاء .

وقال في المعنى نفسه [48] :

صببت على الامير ثياب مدحي فكل قال أحسن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شعري ولا ملك الثنا مني القيادا
وقالوا أجدت فقلت إني رأيت الامر أمكنني فزادا

ويردد أبو نواس تشبيهه بالمهدي في الجود والبذل ، وبأبي جعفر المنصور بالهدى والهيبة .. ويشبهه كذلك بأبيه هارون فيقول [49] واصفاً اياه بأنه قد صيغ من الجوهر الخالص للخلافة ومشيراً الى أن كلا جديه لابيه ولامه خليفتان :

مرحباً مرحباً بخير امام صيغ من جوهر الخلافة بحتا
يا أمين الله يكلؤك الله مقيماً وظاعناً حيث سرتا
انما الارض كلها لك دار فلك الله صاحب حيث كنتا
يا شبيه المهدي جوداً وبذلا وشبيه المنصور هدياً وسمتا [50]

وقال مفصلا في شبه الامين بأبيه وجده المنصور وموضحاً صلة النسب بهم [51] :

تشببت الخضراء بعد مشيبها ولم تك الا بالامين تشبب
رددت عليها ما مضى من شبابها وجددت فيها منظراً كاد يخرب

(٤٨) ديوانه ص ٤٣٣
(٤٩) ديوانه ص ٤٢١
(٥٠) السمت : هيأة اهل الخير .
(٥١) ديوانه ص ٤١٠ .

لئن كان من هارون فيك مشابه | لأنت الى المنصور بالشبه أقرب
لانك إن جداك عدا فانما | تصير الى المنصور من حيث تنسب
تراك ابنه من جانبيه كليهما | فمن جانب جد ومن جانب أب
امام عليه هيبة ومحبة | الا حبذا ذاك المهيب المحبب

وقال من قصيدة له حينما كان في السجن ، وكان قد حبسه بسبب الشرب فدعا به وحوله بنو هاشم وغيرهم فقال معتذراً ومادحاً له بأبيه وجديه المهدي والمنصور وبعمه موسى الهادي (٥٢)

تذكر أمين الله والعهد يذكر | مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثري عليك الدر يا در هاشم | فيا من رأى دراً على الدر ينثر
أبوك الذي لم يملك الارض مثله | وعمك موسى عدله المتخير
ومن مثل منصوريك منصور هاشم | ومنصور قحطان اذا عد مفخر
وجدك مهدي الهدى وشقيقه | أبو أمك الادنى أبو الفضل جعفر
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا | وعبد مناف والداك وحمير
تحسنت الدنيا بحسن خليفة | هو الصبح الا أنه الدهر مسفر
يشب اليه الجود من وجناته | وينظر من أعطافه حين ينظر

ومدحه أبو محمد التيمي الشاعر أيضاً بطيب أصله ومجد أبائه وقدسية أجداده ، فهو من آل هاشم الذين توارثوا الخلافة عن خاتم الانبياء وهم ذوائب الشرف ودعائم العرب فقال (٥٣)

لا بد من سكرة على طرب | لعل روحاً يديل من كرب
خليفة الله خير منتخب | لخير أم من هاشم وأب
أكرم بعرقين يجريان به | الى الامام المنصور في النسب (٥٤)

---

(٥٢) مختار الاغاني ٣/٨١ . وخلاصة الذهب المسبوك ص ١٧٨ .
(٥٣) الاغاني ١٩/٣٣١ ومختار الاغاني ٥/٣٤٦ .
(٥٤) الاغاني ١٩/٣٢٦ ولم يرد البيت متصلا بالابيات السابقة واللاحقة.

خلافة الله قد توارثها آباؤه في سوالف الكتب
فهي لكم دونه مورثة عن خاتم الانبياء في الحقب
يا ابن الذرى من ذوائب الشرف الاقدم أنتم دعائم العرب

ويروي أبو الفرج [٥٥] عن التيمي أنه قال : (دخلت على الحسن بن سهل فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه وعنده طاهر بن الحسين فقال له طاهر : هذا والله أيها الامير الذي يقول في محمد المخلوع : (لا بد من سكرة على طرب ...) فقال الحسن : عرض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين ، والله لاعلمنه ، وقام الى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ..؟ رجل أمل رجلا فمدحه [٥٦] ، وللتيمي في الامين مدائح كثيرة لم يصلنا منها شيء ، فيروي ابن منظور [٥٧] عنه أنه اشترى بجائزته عن بعض مدائحه في الامين ضيعة في البصرة

ومما يستحسن من شعر النظام قوله في مدح الامين [٥٨]

ألا يا خير من رأت العيون نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى ولا تحوي حيازته الظنون
فأنت نسيج وحدك لا شبيه نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء وأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً الى أن قام بالملك الامين

فاذا صحت نسبة هذه الابيات الى النظام ، ويرجح ذلك لانسجام اسلوبها مع ما عرف من اساليب علماء الكلام ، ولورود العديد من الالفاظ المتداولة لديهم فيكون الامين بذلك قد حاز على شهادة طيبة من استاذ كبير من اساتذة الجاحظ

---

(٥٥) الاغاني ٣٣١/١٩ .
(٥٦) المستجاد من فعلات الاجواد ص ١١١ .
(مختار الاغاني ٣٤٧/٥ .
(٥٨) طبقات ابن المعتز ص ٢٧١ ، والنظام هو ابراهيم بن سيار ، قيل كان مذهبه .

وعالم من علماء العصر ، حيث يرى فيه فرداً فذاً لا نظير لـه ونسيج وحـده فاق الظنون والتصور لا يشبهه أحد ولا يشاكله ، وهو الملك الذي أعطى الملك معناه وقيمته .

أما الشاعر الخليع (الحسين بن الضحاك) فلم يصلنا من مديحه للامين غير أبيات قالها في وقعة صالح ، وكان الشعراء قد أكثروا فيها القول ، وذكروا ما كان من شدة الحرب وقسوتها ، وسنعرض في (رثاء الامين) لشدة حزن الشاعر عليه ونقف على حرارة وجده في مراثيه الجياد ، قال [٥٩] :

أمـين الله ثـق بـالله تعـط الصـبر والنصـره
كـل الامر الى الله كـلاك الله ذو القـدره
لنـا النصـر بعـون الله والكـرة لا الـفره
وللمـراق أعـدائك يـوم السـوء والـدبره
وكـاس تلفـظ المـوت كريـه طعمهـا مره
سـقينا وسـقيناهم ولـكن بهـم الحره
كـذاك الحرب احيـاناً علينـا ولنـا مـره

ووصلنا لعلية بنت المهدي في مديح الامين بضعة أبيات تثني عليه فيها بأنـه ابن الاكرمين نسباًوأصلا وابن الاعظمين اذا ما تنافس العظـام في المكرمـات وابن الابطـال الذين يقودون الجيوش ليغلبـوا العـزيز بـأرضه وليـذلوا عسـاكره وخيوله قالت [٦٠] :

يا ابن الخلائف والجحاجحة العلى والاكرمين مناسبـاً وأصـولا
والاعظمـين اذا العظـام تنافسـوا بـالمكرمـات وحصلـوا تحصيلا
والقـائـدين الى العـزيز بأرضـه حتى يـذل عسـاكراً وخيـولا

---

(٥٩) الطبري ٨/٤٥٥ .
(٦٠) اشعار اولاد الخلفاء ص ٨٢ .

وقالت تصفه بالجود والكرم وبأنه أغنى الناس جميعاً ولم يدع فيهم فقيراً (٦١)

اطلت عاذلتي لومي وتفنيدي وأنت جاهلة شوقي وتسهيدي
قام الامين فأغنى الناس كلهم فما فقير على حال بموجود

ولا بد لي بعد هذا أن أقول : أني لا أشك في أن الكثير من مدائح الامين قد أصابتها الايدي التي أزالت وجودها ، وهناك الاشارات العديدة الى أن كثيراً من الشعراء كانوا قد اتصلوا به فمدحوه فأعطاهم وأغناهم ، فالحسين ابن الضحاك لم يصلنا منه غير القدر الذي مر بنا في حين أن موقفه من موت الامين ، وجزعه الشديد عليه وتحديه للسيوف المسلطة عليه وما ذكر من علاقته به في حياته يحتم أن يكون له فيه الكثير من المدائح .

والشاعران التيمي وابن البواب اللذان يرثيانه بحرقة حتى لايتمالكا نفسيهما من التعريض بالمأمون والمس به ..

الا يعني هذا أنه من المحتم أن تكون لهما فيه مدائح لم تصلنا وعدد من شعراء العصر ذكرت عنهم من الابيات المتناثرة التي تشير الى أنه من الممكن أن يكون لهم فيه من المدائح مالم يبق لها أثر كأبي الشيص وأشجع السلمي ، وعبد الرحمن بن الهداهد ، ومقدس بن صيفي وغيرهم .

ان موقف هؤلاء الشعراء من المأمون فيما بعد وحرصهم على استمناح عطائه بمدائحهم ربما يدل على أنهم كانوا حريصين جداً على اخفاء ما كان منهم في مدح الامين ، سيما وقد رأينا أن المأمون ومن حوله كانوا يقرعون الشعراء الذين رثوا أو مدحوا الامين ، فيحاولون أن يبحثوا عن تبرير لرثائهم أياه أو أن يعتذروا عنه ويطلبوا الصفح ، ان هذه المواقف وأمثالها تدل بلا شك على أن الشعراء أنفسهم قد تنكروا لما قالوه في الامين وحاولوا أن يبرئوا أنفسهم منه ، فعملوا على طمس

---

(٦١) اشعار اولاد الخلفاء ص ٨٢ .

معالم مدائحهم فيه أو ساعدوا على ذلك ، لانهم عاصروا المأمون وكانوا لا يريدون أن يحرموا من عطائه ورعايته لهم ، وليس هذا غريباً على بعض الناس في كل زمان ومكان .

وربما كان لموت أبي نواس قبل دخول المأمون مدينة بغداد الاثر في أن لا يصاب بعض شعره بما أصاب أشعار الاخرين ، حيث لم يضطر الى أن يحمل على ما حمل عليه غيره من شعراء عصره من الحاجة الى انكار ما قالوه في الامين .

ومن جهة أخرى ، ربما كان لكثرة رواة شعر أبي نواس وشدة الاهتمام به الاثر في سلامة وبقاء ما وصلنا منه في ذلك حيث استطاع شعره أن يتخطى تلك الظروف محفوظاً على ألسنة الرواة ليصمد على الايام وليصلنا منه ما وصل .

الفصل الرابع

رثاء الامين

١ ـ مراثي الحسين بن الضحاك

٢ ـ رثاء خزيمة

٣ ـ رثاء عبد الرحمن بن الهداهد

٤ ـ رثاء مقدس بن صيفي

٥ ـ مراثي أبي نواس



الفصل الرابـع

رثاء الامين

ولا نشك في أن دواعي المـديح كثيرة جـداً ، منها التكسـب والرغبة في الوصول الى منزلة أو جاه لدى الممدوح ، ويكون الممدوح أحياناً جديراً بمـا يمدح به ، أو قد يزاد عليه ويبالغ فيه ، فتصطنع له المكارم والمحامد وهو خلو منها .

أما دواعي الرثاء فقد تقترب أحياناً من دواعي المديح اذا ما رغب الرائي بصاحب جاه أو سلطان يمت للمرثي بصلة فيسعى برثائه الى ترضيته واكتساب جانبه فيسبغ الصفات المستحبة على المرثي اكراماً للاحياء ... فيكون الرثاء بذلك للتكسب وارجاء .

على أن الرثاء للامين مختلف جداً ... وأكاد أقرر أن جل ما ورد فيه من وصف صادق أصيل فلقد كان رثاؤه منتهى الوفاء ، لانه رثاء لمغلوب أمام غالب ، رثاء لمدحور أمام تيار عنيف لا يقاوم ، رثاء ربما فتح لقائله أبواب السجون أو شهر له السيوف ومع ذلك فقد تخطى ذلك واستهان به وثبت حتى وصـل الينا قليل من كثير مما وقع للمؤرخين والكتاب والادباء لنستطيع من خلاله أن ننصف الامين ونؤكد اتصافه بالصفات التي تواتر ذكرها في أكثر مدائحه ومراثيه .

ولقد عبر الحسين بن الضحاك عن الموقف العام المناويء لرثاء الشعراء للامين بقوله [1] :

---

(١) الاغاني ١٤٧/٧ واشعار الخليع ص ٥٠ .

أطل حزناً وابك الامير محمداً   بحزن وان خفت الحسام المهندا

فمن كان يبكي الامين أو يظهر الحزن عليه يعرض نفسه اذن للموت ، وهذا يدل على القسوة التي جابه المنتصرون بها أنصار الامين ، وأني لاتخيل العديد من الرؤوس التي قطعت لا لان أصحابها حملوا السيوف ، ولكن لانهم أظهروا عواطفهم تجاه موت الامين ومن مع الامين .

وللحسين بن الضحاك في محمد الامين مراث كثيرة جياد ، وكان كثير الميل اليه والموالاة له لكثرة أفضاله عليه .. وقد بلغ من جزعه عليه حين وفاته أنه خولط [٢] فكان ينكر قتله لما بلغه ، ويدفعه ضناً به وشفقة عليه فيقول : أنه مستتر . وكان يدعي أنه قد وقف على أن دعاته قد تفرقوا في الامصار يدعون الى ارجاعه والوفاء ببيعته ، وقد قال في ذلك معبراً عن أمنيته بعودته [٣] :

سألونا أن كيف نحن فقلنا   من هوى نجمه فكيف يكون

نحن قوم أصابنا حدث الدهر   فظلنا لريبه نستكين

نتمنى من الامين ايابا   لهف نفسي وأين مني الامين

ولقد أكثر الحسين من رثاء الامين حتى خيف عليه من سطوة المأمون وخصوم الامين من الفرس .. يروي لنا أبو الفرج الاصفهاني أنه قال [٤] : (كنت عازماً على أن أرثي الامين بلساني كله وأشفي لوعتي ، فلقيني أبو العتاهية فقال لي : يا حسين أنا مائل اليك ، ولك محب ، وقد علمت مكانك من الامين وأنه لحقيق أن ترثيه الا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلباً له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون منصب الى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نفسك ـ يا ويحك ـ أتجسر على أن تقول :

---

(٢) الاغاني ١٤٨/٧ .

(٣) الاغاني ١٤٨/٧ واشعار الخليع ص ١١٠ وعيون التواريخ حوادث ١٩٨ .

(٤) الاغاني ٢٠٦/٧ .

تركـــوا حريم أبيهـم ثفـــلا [٥]   والمحصنـــات صـــوارخ هتـف
هيهات بعـــدك أن يـــدوم لهم   عـــز وأن يبـقى لهـم شـــرف

أكفف غرب لسانك ، واطو ما أنتشر عنك ، وتلاف مـا فرط منك ، فعلمت أنه قدنصحني ، فجزيته الخير وقطعت القول ، فنجوت برأيه وكدت أن أنجو)

ومن المفيد أن نقف عند المراثي التي قالهـا الحسين بن الضحاك في الأمين لانها توضح لنا بعض الجوانب التي أغفلها التاريخ قال [٦] :

يـــا خـير أسرتـــه وان زعموا   اني عليـــك لمثبـــت أســـف
الله يعـــلم أن لي كبـــــداً   حرى عليـــك ومقلـــة تكـف
ولئن شجيـــت بما رزئت بـــه   اني لاضـــمر فـــوق مـــا أصف

انه يصفه بأنه خير اسرته ويرفض أن يقال عنه أنه مدفوع الى ذلك لتعلقه به وأسفه عليه ، لانه على عظم مصابه يضمر له من النعوت والصفات فوق ما يمكنه أن يعلن ، ثم قال :

هـــلا بقيت لســـد فاقتنـــا   أبـــداً وكـــان لغيرك التلف
قـــد كـــان فيك لمن مضى خلـف   ولسوف يعـــوز بعـــدك الخلـف

ولا ينكر الشاعر أنه كان يتمنى بقاءه وموت غيره بدلا عنه لانه كان يقوم بسد فاقته بكثرة اعطياته ، ولئن كان في الامين خلف لمن مضى من خلفاء بني العباس لسوف يعوز بعد مقتله الخلف ، ولا شك أن في هـــذه الأبيات تعريضـــاً بالمأمون ودعاء عليه وانتقاصاً من قدره اضطغنه عليه المأمون فيما بعد .

ثم يفصل الحسين فيما وقع لآل بيت الخليفة من هتـــك الحريم وسـلب النساء بين صراخ المحصنات ودهشة العذارى فيقول :

---

(٥) التفل : ثفل كل شيء وثافله : ما استقر تحته من كدرة (اللسان / ثفل).
(٦) الطبري ٨/٥٠١ والكامل ٦/٢٩٠ واشعار الخليع ص ٧٨ .

لا بات رهطك بعد هفوتهم   اني لرهطك بعدها شنف
هتكوا بحرمتك التي هتكت   حرّم الرسول ودونها السجف
وثبت أقاربك التي خذلت   وجميعها بالذل معترف
تركوا حريم أبيهم نفلا   والمحصنات صوارخ هتف
أبدت مخلخلها على دهش   أبكارهن ورنت النصف
سلبت معاجرهن واجتليت   ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال منتهب   در تكشف دونه الصدف

ويشير بعد ذلك الى أن القدر هو الذي خانه فأوهى ملكه فذهب العز وتصرم الشرف بذهابه :

ملك تخون ملكه قدر   فوهى وصرف الدهر مختلف
هيهات بعدك أن يدوم لنا   عز وأن يبقى لنا شرف

ثم يعود باللوم على المأمون الذي نقض عهد الله بقتله وذكره بأن الله له بالمرصاد :

أفبعد عهد الله تقتله   والقتل بعد أمانة سرف
فستعرفون غداً بعاقبة   عز الاله فأوردوا وقفوا

ويختم قصيدته بقوله :

يا من تخون نومه أرق   هدت الشجون وقلبه لهف
قد كنت لي أملا غنيت به   فمضى وحل محله الاسف
مرج النظام وعاد منكرنا   عرفاً وأنكر بعدك العرف
والشمل منتشر لفقدك والدنيا سدى والبال منكسف

ولا نشك في أن كثيراً مما قيل في رثاء الامين قد مزق أو محي خوفاً من المأمون ، ويدل على ذلك ما أورده أبو الفرج الاصفهاني : (أخبرني محمد بن

يحيى الصولي ، قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه عن عمرو بن بانه أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد فقال : لست تطرح على جواري وغلماني ما استجيده .. فقال له : ويلك ما أبغضك ، ابعث الى منزلي فجيء بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم ، فبعث الى منزلي فجيء اليه بدفاتر الغناء ، فأخذ منه دفتراً ليتخير مما فيه فمر به شعر الحسين بن الضحاك يرثي الامين ويهجو المأمون وهو قوله :

أطل حزناً وأبك الامام محمداً بحزن وان خفت الحسام المهندا

فقال لي صالح : أنت تعلم أن المأمون يجيء الي في كل ساعة فاذا قرأ هذا ، ما تراه يكون فاعلا .. ؟ ثم دعا بسكين فجعل يحكه ... الخ) [٧]

ويدل عليه كذلك ما سبقت الاشارة اليه من نصح [٨] الشاعر أبي العتاهية للحسين وكان قد أكثر من رثاء الامين والتوجع عليه ، بأن يطوي ما انتشر عنه من شعر ويتلافى ما فرط منه من قول ، ابقاء على نفسه وطلباً للسلامة والنجاة .

ومن جيد مراثي الحسين قوله معبراً عن لوعته وباثاً لشجون نفسه وذاكراً للعديد من صفات الرجولة والمروءة فالامين هو الجواد المعطاء الذي استراحت بعده مطايا الراغبين ورفه عنها من عناء المسير ، وهو الجبل المنيع الذي هوت بهويه المعالي وارتاع لهدته الصالحون [٩] .

اذا ذكر الامـين نعى الامينا وان رقـد الخلي حمى الجفونا
ومـا برحت منازل بين بصـرى وكلواذى تهيج لي شـجونـا
عراص الملك خـاوية تهـادى بهـا الارواح تنسجهـا فنونـا
تخـون عز سـاكنها زمـان تـلعب بـالقرون الاولينـا

(٧) الاغاني ١٤٧/٧ .
(٨) الاغاني ٢٠٦/٧ .
(٩) الطبري ٥٠٣/٨ .

تشتت شملهم بعد اجتماع وكنت بحسن ألفتهم ضنينا
فلم أر بعدهم حسناً سواهم ولم ترهم عيون الناظرينا
فوا أسفاً وان شمت الاعادي وآه على أمير المؤمنينا
أضل العرف بعدك متبعوه ورفه عن مطايا الراغبينا
وكن الى جنابك كل يوم يرحن على السعود ويغتديا
هو الجبل الذي هوت المعالي لهدته وريع الصالحونا

ثم لا يلبث أن يقول : أنه كان حامي الدنيا بالجود وحامي الدين بالورع والتقوى ، فلما مات ذل المسلمون وعزت بموته ملة كسرى .. فأي حام للعروبة والدين هو ... ؟

ستندب بعدك الدنيا جواداً وتندب بعدك الدين المصونا
فقد ذهبت بشاشة كل شيء وعاد الدين مطروحاً مهينا
تعقد عز متصل بكسرى وملته وذل المسلمونا

أفلا يدل هذا على أن الصراع الذي كان قائماً بين الاخوين حول الخلافة قد أستغل من قبل الفرس حتى ظهر في حقيقته صراعاً يستهدف الاسلام والعروبة، حيث أحاط بالمأمون حاشية من المتعصبين للفارسية والمجوسية حتى تكشفت له نواياهم بعدئذ فرأى أن يغير سياسته بشكل فصله التاريخ .

وقال خزيمة [١٠] يرثي الامين ويذكر ما أصاب الدين من تضعضع بموته وكيف أن الاسلام صار يشتكي انقضاء المدة وقيام الساعة .

سبحان ربك رب العزة الصمد ماذا أصبنا به في صبحة الاحد
وما أصيب به الاسلام قاطبة من التضعضع في ركنيه والاود
من لم يصب بأمير المؤمنين ولم يصبح بمهلكة والهم في صعد

---

(١٠) الطبري ٨/٥٠٦ .

فقد أصبت به حتى تبين في — عقلي وديني وفي دنياي والجسد
يا ليلة يشتكي الاسلام مدتها — والعالمون جميعاً آخر الابد

ويكاد القارىء أن يحس مع الشاعر عظم المصاب وفداحة الموقف وهو يهرع الى الله يسبحه ويسائل الدنيا والدين عن مصابهما بهول ما وقع .. أما هو فقد أصيب في عقله ودينه وفي دنياه وجسده .

ثم يشبه الامين بالاسد مصوراً شجاعته ، ويذكر كيف أن المنايا كانت تهابه وتخشاه لولا أنها واجهته بأوغاد كثار فصادفته وحيداً لا معين له قد غاب عنه الانصار وانقطع عنه المدد فيقول :

غدرت بالملك الميمون طائره — وبالامام وبالضرغامة الاسد
سارت اليه المنايا وهي ترهبه — فواجهته بأوغاد ذوي عدد
بشورجين واغتام يقودهم — قريش بالبيض في قمص من الزرد
فصادفوه وحيداً لا معين له — عليهم غائب الانصار بالمدد
فجرعوه المنايا غير ممتنع — فرداً فيا لك من مستسلم فرد
يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل — أبهى وأنقى من القوهية الجدد

ثم يحدثنا حديث أمير المؤمنين في غير زيادة أو نقصان ، فيصور لنا الواقعة حوله ويصف صموده وحيداً مستبسلا ويصوره بطلا متفوقاً لولا مكاثرة أعدائه له فرداً فيقول :

واحسرتا وقريش قد أحاط به — والسيف مرتعد في كف مرتعد
فما تحرك بل ما زال منتصباً — منكس الرأس لم يبدىء ولم يعد
حتى اذا السيف وافى وسط مفرقه — أذرته عنه يداه فعل متئد
وقام فاعتقلت كفاه لبته — كضيغم شرس مستبسل لبد
فاجتره ثم أهوى فاستقل به — للارض من كف ليث محرج حرد

فكاد يقتله لولم يكاثره [11] وقام منفلتاً منه ولم يكد

هذا حديث أمير المؤمنين وما نقصت من أمره حرفاً ولم أزد

لا زلت أندبه حتى الممات وأن أخنى عليه الذي أخنى على لبد

وبهذا يكشف لنا الشاعر عن صفة أخرى من صفات الامين وهي الشجاعة والقوة ، وذلك ما يتفق مع ما أورده المسعودي عنه حينما وصفه بالشدة والبطش [12]

أما عبد الرحمن بن الهداهد فقد عبر برثائه عن عظم مصيبته ولوعته ولم ينس أن يصف الامين بأسمى الصفات وأتمها من جود وكرم وشجاعة،فهو ملك تقصر الملوك عن شيمته ولو كان للموت أن يحجم عن الابطال لجازه وخلده عزيزاً مهيباً فقال [13] :

يا غرب جودي قد بت من وذمه فقد فقدنا العزيز من ديمه

ألموت بدنياك كف نائبة وصرت مفضى لنا على نقمه

أصبح للموت عندنا علم يضحك سن المنون من علمه

ما استنزلت درة المنون على أكرم من حل في ثرى رحمه

خليفة الله في بريته تقصر أيدي الملوك عن شيمه

يفتر عن وجهه سنا قمر ينشق عن نوره دجى ظلمه

زلزلت الارض من جوانبها اذ أولغ السيف من نجيع دمه

من سكنت نفسه لمصرعه من عم الناس أو ذوي رحمه

رأيته مثل ماراه به حتى تذوق الامر من سقمه

كم قد رأينا عزيز مملكة ينقل عن أهله وعن خدمه

يا ملكاً ليس بعده ملك لخاتم الانبياء في أممه

---

(١١) الصواب : يكاثره . (بالجزم) .

(١٢) مروج الذهب ٣/٣٠٧ .

(١٣) الطبري ٨/٥٠٣ .

جاد وحياً الذي أقمت به　　سح غزير الوكيف من ديمه [١٤]
لو أحجم الموت عن أخي ثقة　　أسوي في العز مستوى قدمه
أو ملك لا ترام سطوته　　إلا مرام الشتيم في أجمه [١٥]
خلدك العز ما سرى سدف　　أو قام طفل العش في قدمه
أصبح ملك اذا اتزرت به　　يقرع سن الشقاة من ندمه

ولا ينس الشاعر بعد هذا أن يدعو على أعدائه بأن يحل بهم ما حل بعاد وإرم ، ويختم مرثيته فيه بقوله : أنه كان كالحلم السعيد مر وفات وكأنه لم يكن .. فيقول :

أثر ذو العرش في عداك كما　　أثر في عاده وفي ارمه
لا يبعد الله سورة تليت　　لخير داع دعاه في حرمه
ما كنت الا كحلم ذي حلم　　أولج باب السرور في حامه
حتى اذا أطلقته رقدته　　عاد الى ما اعتراه من عدمه

وقال [١٦] من مرثية أخرى فيه ، فوقف على أطلال القصر يسأله عن أهله أين حلوا ، ويسأل الاطلال ما بالها سودا خاوية كأنها لم تؤنس سابقاً بالملوك وتعمر بالاجواد الذين كانوا يعينون قاصديهم على حدثان الزمان .

ثم ينتهي الى تقريع بني أبيه لانهم أضاعوا شمسهم وأجلوا قمرهم فغمرهم الظلام وداستهم خيول الشرار ويعيرهم بأنهم لو كانوا كفواً للامين لما احتاجوا الى أن يتوجوا أنفسهم بتاج العار .. ولا ينسى بعد ذلك أن يصب نقمته على أعداء الامين بأن يصيروا الى الذل والصغار :

أقول وقد دنوت من الفرار　　سقيت الغيث يا قصر القرار
رمتك يد الزمان بسهم عين　　فصرت ملوحاً بدخان نار

---

(١٤) الوكيف وكف : وكيفا : سال .
(١٥) الشتيم : يقال : اسد شتيم اي : عابس .
(١٦) الطبري ٨/٥٠٤ .

ابن لي عن جميعك أين حلوا وأين مزارهم بعد المزار
وأين محمد وابناه مالي أرى أطلالهم سود الديار
كأن لم يؤنسوا بأنيس ملك يصول على الملوك بخير جار
امام كان في الحدثان عوناً لنا والغيث يمنح بالقطار
لقد ترك الزمان بني أبيه وقد غمرتهم سود البحار
أضاعوا شمسهم فجرت بنحس فصاروا في الظلام بلا نهار
وأجلوا عنهم قمراً منيراً وداستهم خيول بني الشرار
ولو كانوا لهم كفواً ومثلا اذا ما توجوا تيجان عار
الا بان الامام ووارثاه لقد ضرما الحشا منا بنار
وقالوا الخلد بيع فقلت ذلا يصير ببائعيه الى صغار
كذاك الملك يتبع أوليه اذا قطع القرار من القرار

ولعل من جيد ما رثي به الخليفة الامين قصيدة مقدس بن صيفي [١٧] . وكان رثاؤه فيها هادئاً رصيناً هدوء الكهولة ورصانتها مؤكداً تلك الصفات التي تواترت في مدائحه ومراثيه ومعبراً عن شدة أسفه وعظيم لوعته التي اذابت كبده وهو الكهل الذي اعتاد التحمل والصبر .. فقال [١٨] :

خليلي ما أتتك به الخطوب فقد أعطتك طاعته النحيب
تدلت من شماريخ المنايا منايا ما تقوم لها القلوب
خلال مقابر البستان قبر يجاور قبره أسد غريب
لقد عظمت مصيبته على من له في كل مكرمة نصيب
على أمثاله العبرات تذرى وتهتك في مآتمه الجيوب
وما أدخرت زبيدة عنه دمعاً تخص به النسيبة والنسيب

---

(١٧) مقدس بن صيفي :
(١٨) الطبري ٨/٥٠٥ .

دعوا موسى ابنه لبكاء دهر | على موسى دخل الحزيب [١٩]
رأيت مشاهد الخلفاء منه | خلاء ما بساحتها مجيب
ليهنك انني كهل عليه | أذوب وفي الحشا كبد تذوب
أصيب به البعيد فخر حزناً | وعاين يومه فيه المريب
أنادي من بطون الارض شخصاً | يحركه النداء فلا يجيب

ثم ينتهي بوصفه بأنه رجل حروب وبأن الحروب قد فجعت لفقده .

وربما كان أبو نواس من أكثر من قال فيه حياً وميتاً وكما رأيناه محباً للامين في حياته معجباً بشخصيته وبأعماله ينعته بأفضل النعوت ، رأيناه وفياً له بعد مماته متحرقاً متأسفاً عليه ، حتى لقد أفقده المصاب صوابه فصار يعبر عن تبرمه بالحياة وكرهه لها ولمن بقي فيها ، ثم لا يبالي بعد ذلك من المس بالمأمون والتعريض به والدعاء عليه ، فمن ذلك قوله [٢٠] :

طوى الموت ما بيني وبين محمد | وليس لما تطوي المنية ناشر
فلا وصل الا عبرة تستديمها | أحاديث نفس ما لها الدهر ذاكر
وكنت عليه أحذر الموت وحده | فلم يبق لي شيء عليه أحاذر
لئن عمرت دور بمن لا أوده | لقد عمرت ممن تحب المقابر

أو قوله في ذات المعنى [٢١] :

أعزي يا محمد عنك نفسي | معاذ الله والمنن الجسام
فهلا مات قوم لم يموتوا | ودوفع عنك لي أجل الحمام
كأن الدهر صادف منك ثأراً | أو استشفى بهلكك من سقام

---

(١٩) الحزيب : امر حازب وحزيب : شديد (اللسان) .
(٢٠) الشعر والشعراء ٢/٦٩٨ ولم يرد فيه البيت الثاني وديوانه ص٥٨١ والعيون والحدائق ص ٣٤٢ .
(٢١) ديوانه ص ٥٧٨ والشعر والشعراء ٢/٦٩٨ والاغاني ٧/١٤٨ وقد نسبها ابو الفرج الى الحسين بن الضحاك ، واشعار الخليع ص ٧٨ .

ومن مراثيه الجياد التي ذكر فيها بعضاً من صفات الامين في الكرم وفي كونه عصمة للضعفاء وسنداً للدين قوله [٢٢] :

أيـا أمـين الله من للنـدى ... وعصمة الضعفى وفك الاسـير
خلفتنـا بعـدك نبكـي على ... دنياك والدين بـدمـع غزير
يـا وحشـتا بعـدك ماذا بنـا ... أحل من ضنك صروف الـدهور
لا خير للاحيـاء في عيشـهم ... بعدك والزلفى لأهل القبور [٢٣] -

ومن لطيف ما قيل في رثاء الامين وجيده قول الشاعر [٢٤] وهو يدير حواراً بينه وبين الندى والجود يسألهما .. ما بالـه يرى الوهن باديـاً على بيت المكارم ... ؟ ولماذا تراهما قد أبدلا عزهما ذلا ... ؟ فلما أجاباه بأنهما قد أصيبا بمحمد الامين قال لهما : ولماذا لم تموتا معه وقد كنتما خدينيه الملازمين له.. فيقولان : انما أقمنا بعده ليوم واحد فقط لنعزى بفقده ثم نتبعه في الغداة :

سألت الندى والجود مالي اراكما ... تبـدلتما عزاً بذل مؤبـد
ومـالي أرى بيت المكـارم واهيـاً ... فقالا أصـبنا بالامـين محمـد
فقلت فهـلا متمـا بعـد فقـده ... وقـد كنتما خـدنيه في كل منزل
فقـالا أقمنـا حتى نعـزى بفقـده ... صبيحـة يـوم ثم نتلـوه في غـد

وكان للامين نصيب من رثاء ابن البواب الشاعر ، وكان ممن اتصل به في حياته فأعطاه وأغناه ، فلما مات رثاه ونال من المأمون وعرض بـه حتى اضطغنها المأمون عليه ...

قيل أنه قصده بعد مقتل الامين ، فلما دخل عليه رفض الاستماع اليه وقال : أليس هو القائل .. ؟ :

---

(٢٢) ديوانه ص ٥٨١ .
(٢٣) الشعر والشعراء ٢/٦٨٨ وجاء البيت الثالث (احل من بعدك صرف الدهور) .
(٢٥) العيون والحدائق ص ٣٤٢ .

أعيني جوداً وابكيا لي محمدا ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

ولم يصله بشيء .

ومثل ذلك ما وقع للتيمي الشاعر ، ذلك انه لما قصد المأمون لمدحه لم يأذن له ، فالتجأ الى الفضل بن سهل ، فأوصله اليه ، فلما سلم عليه قال المأمون : هيه ياتيمي :

مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فاعتذر الشاعر وقال في الحال ابياتا في مدحه ليرضيه ، فاستحسن بديهته ووصله[٢٦] .

ومثله ما كان قد وقع للحسين بن الضحاك مع المأمون حينما اضطغن عليه كثرة رثائه للامين وتعريضه به حتى امتنع عن مقابلته وسماع مديحه ...

وقيل أنه أحضره يوماً فقال له معاتباً : أخبرني هل رأيت يوم قتل أخي هاشمية قتلت أو هتكت ..؟ قال : لا .. قال : فما قولك :

ومما شجا قلبي ويسكب عبرتي محارم من آل الرسول استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا أخفرتها روعة من منازع لها المرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يداً مني اذا ما ذكرته على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت امالهم ما تمنت[٢٨]

---

(٢٥) الاغاني ٢٢/٤٥٤ ونسبها ابو الفرج كذلك الى الحسين بن الضحاك واضاف إليها بيتا ثانيا (٧/١٦٢) هو :

فلا تمت الاشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك منها مبدداً

(٢٦) تاريخ الخلفاء ص ٢٠١ والانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩١ .

(٢٧) الكامل ٦/٢٩١ .

(٢٨) اشعار الخليع ص ٣٢ .

فقال يا أمير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني واحسان شكرته فأنطقني وسيد فقدته فأقلقني ، فان عاقبت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك ، فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت عنك وأمرت بادرار رزقك عليك وعطائك ما فاتك متمماً ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك

وممن رثاه من ذوي قرباه عمه ابراهيم بن المهدي •• وقيل أنه لما بلغه قتل محمد استرجع وبكى ثم قال [٢٩] :

عوجا بمغنى طلل دائر   بالخلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المسنون يطلى به   والباب باب الذهب الناضر
عوجا بها فاستيقنا عندها   على يقين قدرة القادر
وأبلغا عني مقالا الى السمولى على المأمور والآمر
قولا له : يا ابن ولي الهدى   طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه أن حز أوداجه   .ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوصاله   في شطن يفني مدى السائر
قد برد الموت على جنبه   وطرفه منكسر الناظر

فعبر بهذه الابيات عن سخطه على طاهر بن الحسين الذي قتل الامين ومثل به ، وأشار اشارة خفية الى المأمون بقوله : (ذبح الهدايا بمدى الجازر) بجعله الامين هدية يجزرها الجزار ثم يسحب أوصالها ليهديها •

وقيل أن المأمون اشتد عليه ذلك وغضب حينما بلغه ذلك الرثاء [٣٠] •

ورثاه من أقربائه أبو عيسى بن الرشيد ، وتعثر القول وهو يجريه على لسانه رثاء لانه لا تطاوعه نفسه على أن يسمي الامين قتيلا ••• فقال [٣١] :

---

(٢٩) تاريخ الطبري ٤٨٩/٨ •
(٣٠) الطبري ٤٨٩/٨ •
(٣١) اشعار اولاد الخلفاء ص ٨٨ والعيون والحدائق ص ٣٤٢ •

يـا ابـا مـوسى وعبـدالله قـد غـالتك غـول
لســت أدري كيـف أر ثيـك ولا كيـف أقـول
لـم تطب نفسـي أسـميك قتيـلا يـا قتيـل

ثم تناول قاتله بالدعاء عليه بأن تشل يده عاجلا فقال [٣٢] :

يـا أبـا مـوسـى وعبدالله قـد قـل عـزاكـا
عاجـلا شـلت يـد الرا مي الـذي كـان رمـاكـا

وممن رثاه من أهل بيته السيدة زبيدة والدته فقالت [٣٣] :

أودى بالفك من لم يترك الناسـا فامنح فؤادك عن مقتولك اليـاسـا
لمـا رأيت المنايـا قد قـصدن لـه أصبن منه سـواد القلب والراسا
فبت متكئـاً أرعى النجـوم له أخـال سـنته في الليل قرطاسـا
والموت دان لـه والهم قـارنـه حتى سـقاه التي أودى بها الكاسا
رزئتـه حين بـاهيت الرجـال به وقـد بنيت به للدهر أسـاسـا
فليس من مات مردوداً لنا أبـداً حتى يرد علينـا قبله نـاسـا

ورثته امرأته لبانة [٣٤] ابنة علي بن المهدي ووصفته بكونه رجلا للمعالي والحروب وملاذاً لليتامى والمعتامين ومثالا للعبادة وذكر الله فقالت :

أبكيـك لا للنعيـم والانـس بـل للمعالي والرمـح والترس
أبكـي على سـيد فجعت بـه أرملـني قبـل ليلـة العرس
يـا فارسـاً بالعراء مطرحـاً خانتـه قـواده مـع الحرس
من للحروب التي تكون بهـا ان أضرمت نارهـا بـلا قبـس

---

(٣٢) العيون والحدائق ص ٣٤٣ .
(٣٣) مروج الذهب ٣/٤١٤ .
(٣٤) الطبري ٨/٥٠١ ومروج الذهب ٣/٤١٤ وشاعرات العرب ص ٣٣٨ وقيل ان الشعر لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد الامين .

من لليتامى اذا هم سغبوا	وكل عان وكل محتبس
أم من لبر أم من لعائدة	أم من لذكر الاله في الغلس

وبعد كل ما ذكرنا .. فان جل المصادر تؤكد أن الشعراء قد أكثروا في رثاء الامين [٣٥] .. وربما لم يصرح بعضهم باسمه فاكتفوا بندب بغداد وبكائها والتأسف على ما حل بها من مآس وخراب .

قال عمرو بن عبد الملك الوراق[٣٦] من قصيدة طويلة يهجو بها طاهر بن الحسين ويعرض بالمأمون :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين	ألم تكوني زماناً قرة العين
ألم يكن فيك أقوام لهم شرف	بالصالحات وبالمعروف يلقوني
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم	وكان قرهم زيناً من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا	ماذا الذي فجعتني لوعة البين
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم	والدهر يصدع ما بين الفريقين
كم كان لي مسعد منهم على زمني	كم كان منهم على المعروف من عون
يامن يخرب بغداداً ليعمرها	أهلكت نفسك ما بين الطريقين
كانت قلوب جميع الناس واحدة	عيناً وليس لكون العين كالدين
لما اشتهم فرقتهم فرقا	والناس طراً جميعاً بين قلبين

وشبيه بذلك ما قاله الشاعر الاعمى [٣٧] متعرضا لما حل ببغداد عام ١٩٦هـ من حصار ادى الى خراب الديار وعفاء الاثار ، وغلو الاسعار ، وواصفاً انشطار الناس الى قسمين : فهؤلاء (محمدية) وهؤلاء (مأمونية) فقاتل الاخ أخاه والابن أباه ، وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت الاموال .. وأشار خلال

---

(٣٥) الكامل ٢٩٥/٦ والعيون والحدائق ص ٣٤٢ .
(٣٦) الطبري ٥٠١/٨ .
(٣٧) مروج الذهب ٣١٣/٣ وربما كان الاعمى هو سليمان الاعمى اخو مسلم بن الوليد الامامة والسياسة ٢٠٥/١ .

ذلك كله الى أسفه البالغ على ما حل بالاسلام وتعرض لانقلاب الاحوال ، حيث انقطع رجاء المسلمين وصار الكافر هو المرتجي للخير ، قال :

تقطعت الارحام بين العشائر — وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم — لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة — ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نستمع من واعظ ومذكر — فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فأبكي على الاسلام لما تقطعت — رجاه ورجى خيرها كل كافر
وأصبح بعض الناس يقتل بعضهم — فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه — وصار رئيساً فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة — ولا يستطيع البر دفعاً لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رأت دماً — فأمته لا تلوي على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم — تسل على أقرانها بالخناجر
فأبكي لقتلى من صديق ومن أخ — كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكي بحزن على ابنها — فيبكي لها من رحمة كل طائر
وذات حليل أصبحت وهي أيم — وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزاً وناصراً — فغيب عني اليوم عزي وناصري
وأبكي لاحراق وهدم منازل — وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابراز ربات الخدور حواسراً — خرجن بلا خمر ولا بمآزر

الى أن يقول مظهراً ميلهُ لملوك آل هاشم متأسفاً على ما حل بهم :

أبغداد يا دار الملوك ومجتبى — صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مطلب المنى — ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبيني لنا أين الذين عهدتهم — يحلون في روض من العيش زاهر
وأين ملوك في المواكب تغتدي — تشبه حسناً (٣٨) بالنجوم الزواهر

---

(٣٨) قيل : (كان الخليفة الامين غاية في الحسن) .

وأين القضاة الحاكمون برأيهم   لورد أمور مشبكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة   ورصف كلام من خطيب وسائر

ثم يقول :

فما لملوك العز من آل هاشم   وأشياعها فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون في سلطانهم وكأنهم   يروحون في سلطان بعض العشائر
يجادل عما نالهم كبراؤهم   فنالتهمو بالكره أيدي الاصاغر
فأقسم لو أن الملوك تناصروا   لذلت لها خوفاً رقاب الجبابر

الفصل الخامس

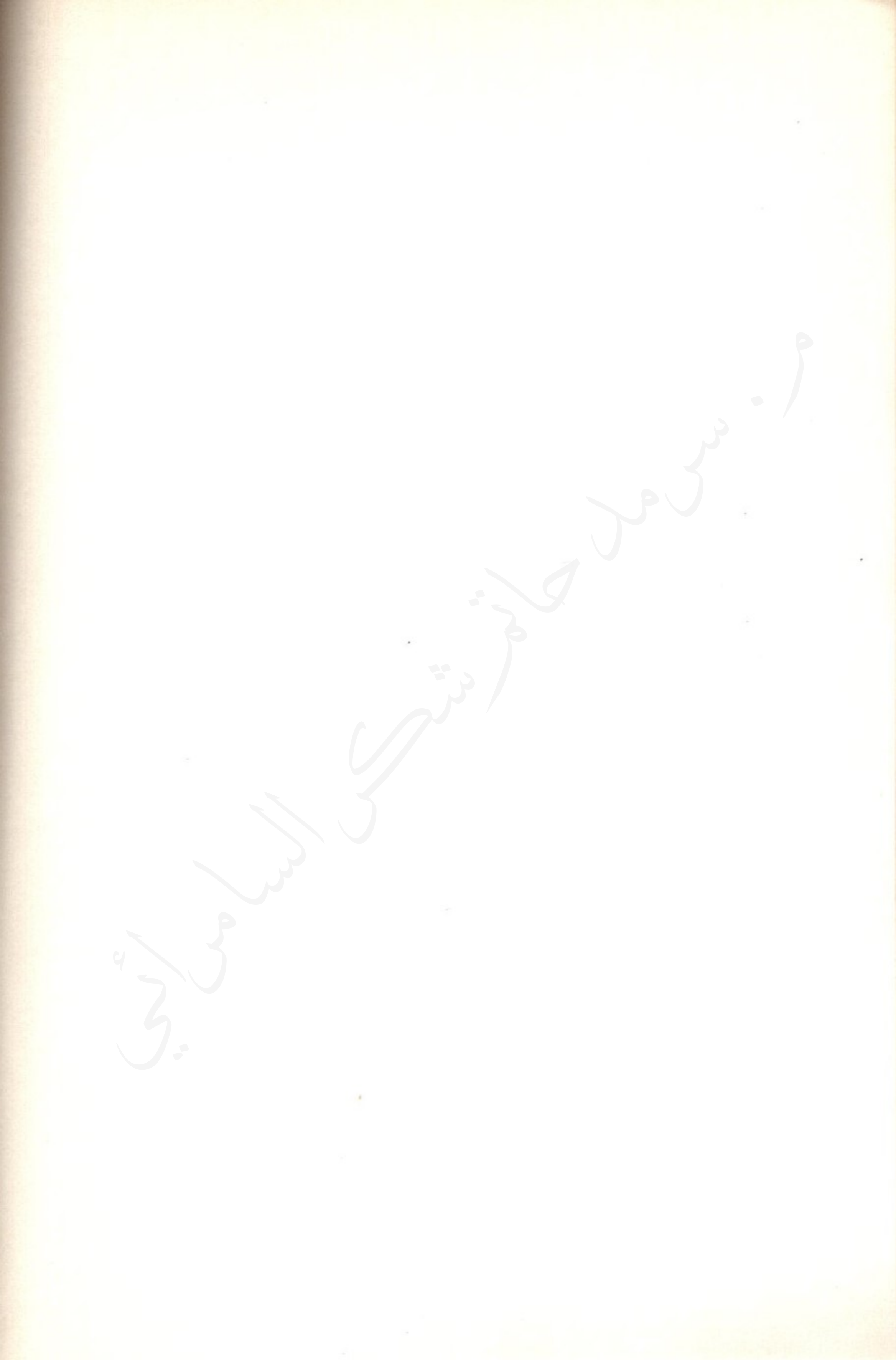
رسـائل الامين ووصـاياه

١ ـ رسالته الى أخيه عبدالله المأمون

٢ ـ رسالته الى أخيه صالح بن هارون الرشيد

٣ ـ وصيته لاحمد بن يزيد

عرض لما ورد فيها من كفاءة سياسية وتوجيه سديد واتصاف بالحزم وشدة العزم



الفصل الخامس
رسائل الامين ووصاياه

ونبدأ مع الامين وما أثر عنه من قول أو كتابة منذ أن بلغه أن أباه الرشيد قد اشتدت عليه العلة بطوس سنة ١٩٣ هـ وأنه لمآبه ، حينما كان ولياً للعهد ، وكان قد استخلفه على بغداد كعادته كلما اضطر الى ترك دار الخلافة لشأن من شؤون الدولة [١] .

ولما خشي الامين أن تقع الوفاة فيغتنم أهل العداوة هذه الفرصة لتفريق الكلمة ، حرر عدداً من الكتب السرية الى جهات عدة وحملها بكر بن المعتمر وبعثه الى طوس وأمره بالتشدد في اخفائها وسترها حتى يموت أمير المؤمنين [٢] فاذا مات دفع الى كل كتابه . فلما قضى الرشيد أظهر بكر الكتب وبعث بها الى جهاتها كسباً للوقت ودفعاً للمحذور وحرصاً على مباشرة الخليفة الامين باصدار الاوامر المبكرة الى المعنيين بها ..

وليس من شك في أن هذا العمل بحد ذاته مظهر من مظاهر الاهتمام بالمسؤولية منذ اللحظات الاولى لحملها، كما أنه يدل على بعد النظر في السياسة وحسن التدبير والعناية بأمور الدولة .

وكان مما وقع بين أيدينا من هذه الرسائل رسالتان على قدر كبير من الاهمية ، احداهما الى أخيه عبدالله المأمون والاخرى الى أخيه صالح بن هارون الرشيد والمتأمل في هاتين الرسالتين يقف على طول باعه في السياسة واتساع

---

(١) الطبري ٢٦٧/٨ والوزراء والكتاب ص ٢٦٦ .
(٢) الطبري ٣٦٦/٨ .

خبرته فيها وأخذه الواعي من أطراف السير والاخبار التي أحكمت نظرته الى الامور ومعالجته لها .

ولقد وضع الامين برسالتيه الى أخويه رسوم الادارة والسياسة ووضع العلامات التي تصون الحكم وتحفظ السلطان وتقود الى النجاح وتبعد عن الخطأ والزلل ، ثم وضح لهما منهجه في الخلافة وسبيله فيها ، وبين أن عليهما أن يكونا على أشد الحزم والعزم مع من يتهم من الجند ومع الخاصة والعامة في الطاعة .. فان شغب شاغب أو نعر ناعر ، فليبعثا برأسه وليجعلاه عبرة للاخرين وتلك سمة من سمات الحكم الحازم المقتدر والنظرة السياسية السديدة ، ثم أوضح أنه سيعمل على استصلاح أمور الرعية والتوسيع عليهم ، وأنه ساع الى تفقد أحوالهم ولم شتاتهم وتقوية الاجناد والانصار مما يدل على اهتمامه بشؤون الامة وحرصه على صلاح أمورها واجتماع كلمتها .

قال في رسالته الى عبدالله المأمون [٣] (بسم الله الرحمن الرحيم .. اذا ورد عليك كتاب أخيك ـ أعاذه الله من فقدك ـ عند حلول ما لا مرد له ولا مدفع مما قد أخلف وتناسخ في الامم الخالية والقرون الماضية ، فعز نفسك بما عزاك الله به واعلم أن الله جل ثناؤه قد أختار لامير المؤمنين أفضل الدارين وأجزل الحظين فقبضه الله طاهراً زكياً قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه إن شاء الله فقم في أمرك قيام ذي الحزم والعزم ، والناظر لاخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين . واياك أن يغلب عليك الجزع فانه يحبط الامر ويعقب الوزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً وانا لله وانا اليه راجعون ، وخذ البيعة عمن قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك لاخيك ثم لنفسك ثم للقاسم بن أمير المؤمنين ، على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين في نسخها له واثباتها ، فانك مقلد من ذاك ما قلدك الله وخليفته ، وأعلم من قبلك رأيي في صلاحهم وسد خلتهم والتوسع عليهم فمن أنكرته عند بيعته أو أتهمته على طاعته.فابعث الي برأسه مع خبره

(٣) الطبري ٣٦٧/٨ وجمهرة رسائل العرب ٣٤٤/٣ .

واياك واقالته فان النار أولى به . واكتب الى عمال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين ، وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثواباً حتى قبضه الى روحه وراحته وجنته مغبوطاً محموداً قائداً لجميع خلفائه الى الجنة ان شاء الله ، ومرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وخواصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك ، واوعز اليهم في ضبط ثغورهم والقوة على عدوهم واعلمهم أني متفقد حالاتهم ولام شعثهم ، وموسع عليهم ، ولا تن في تقوية أجنادي وأنصاري ، ولتكن كتبك اليهم كتباً عامة لتقرأ عليهم ، فان في ذلك ما يسكنهم ويبسط امالهم . واعمل بما تؤمر به لمن حضرك أو نأى عنك من اجنادك على حسب ما ترى وتشاهد ، فأن أخاك يعرف حسن اختيارك وصحة رأيك وبعد نظرك ، وهو يستحفظ الله لك ويسأله أن يشد بك عضده ويجمع بك أمره انه لطيف لما يشاء) . (كتبه بكر بن المعتمر بين يدي واملائي في شوال سنة ١٩٤ هـ) .

وقد زاد في تفصيل الامور وتوضيح المواقف في رسالته الى أخيه صالح ، حيث وزع فيها المهمات والمسؤوليات على رجاله الثقات ، مبيناً بحكمة ودراية مؤهلات كل منهم ولياقته للامر الذي يناط به ، واضعاً أوامره الخاصة لهم حول واجباتهم ومسؤولياتهم معللا أسبابها ودواعيها .. فعبدالله بن مالك يتولى أمر العسكر لانه ثقة على مايلي مقبول عند العامة على أن يتسم بالجد والتيقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله ليله ونهاره لانه يخشى أهل العداوة والنفاق ، وحاتم بن هرثمة يقوم بحراسة قصور أمير المؤمنين لانه لا يعرف غير الطاعة ولا يدين الا بها ، وأسد بن يزيد بن مزيد يتولى مقدمة الجيش ، ويحيى بن معاذ يتولى مؤخرته ، على أن يتناوبا في المجيء اليه كل ليلة .

ثم ينتهي في رسالته الى التأكيد على أخيه صالح بأن يستفيد من رأي

وتدبير شيخهم وبقية آبائهم الفضل بن الربيع، ويختمها بطلب انفاذ بكر بن المعتمر واسماعيل بن صبيح وتوجيه الجيش مع امواله وخزائنه اليه في الحال .

وهذه رسالته [٥] نضعها بين يدي القارىء الكريم يستطلع اخبارها ويستجلي مراميها ليصدر الحكم العادل بحق الامين بل لعله يضيف على ما قلته فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم .. اذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله ، ونفذ من قضائه في خلفائه وأوليائه وجرت به سنته في الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) فاحمد الله على ما صار اليه أمير المؤمنين من عظم ثوابه ومرافقة انبيائه صلوات الله عليهم انا اليه راجعون واياه نسأل ان يحسن الخلافة على امة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان لهم عصمة وكهفا ، وبهم رؤوفاً رحيما .

فشمر في أمرك ، واياك أن تلقي بيديك ، فان اخاك قد اختارك لما استنهضك به ، وهو متفقد مواقع فقدانك فتحقق ظنه ، ونسأل الله التوفيق .وخذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين واهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ثم لعبدالله ابن أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها أو اثباتها فان السعادة واليمن في الاخذ بعهده والمضي على مناهجه ، واعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم واداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم ، فان شغب شاغب أو نعر ناعر ، فاسط به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واضمم الى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، ومره بالمسير معهم فيمن معه وجنده ورابطته ،

---

(٥) تاريخ الطبري ٨/٣٦٩ .

وصير الى عبدالله بن مالك أمر العسكر وأحداثه فانه ثقة على ما يلي مقبول عند العامة واضمم اليه جميع الشرط من الروابط وغيرهم الى من معه من جنده ، ومره بالجد والتيقظ وتقديم الحزم في أمره كله ليله ونهاره فان أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ومره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فانه ممن لا يعرف الا الطاعة ولا يدين الا بها بمعاقد من الله مما قدم لهمن حال أبيه المحمود عند الخلفاء ٠ ومر الخدم باحضار روابطهم من يسد بهم وباجنادهم مواضع الخلل من عسكرك فانهم حد من حدودك ٠ وصير مقدمتك الى أسد بن يزيد بن مزيد ، وساقتك [٦] الى يحيى بن معاذ فيمن معه من الجنود ، ومرهما بمناوبتك في كل ليلة ، والزم الطريق الاعظم ، ولا تعدون المراحل ، فان ذلك أرفق بك ، ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده فيصير الى مقدمته ، ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل أو بعض الطريق ، فان لم يحضرك في عسكرك بعض من سميت فاختر لمواضعهم من تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام ، فان ذلك لن يعوزك من قوادك وأنصارك إن شاء الله ٠ واياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا برأي شيخك وبقية أبائك الفضل بن الربيع وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الاموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ، ولا تخرجن أحداً من ضمن ما يلي الا أن تقدم علي ٠

وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سيبلغكه واعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى وان أمرت لاهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولي لاعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه ، بحضور من أصحاب الدواوين ، فان الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الامور ٠

وانفذ الي عند وصول كتابي هذا اليك اسماعيل بن صبيح وبكر بن

---

(٦) الساقة : مؤخرة الجيش ٠

المعتمر على مركبيهما من البريد [٧] ، ولا يكون لك عرجه ولا مهله بموضعك الذي أنت فيه ، حتى توجه الي بعسكرك بما فيـه من الامـوال والخزائن ان شاء الله ، أخوك يستدفع الله عنك ويسأله لك حسن التأييد برحمته) .

وقيل أن الامين لما أتاه الخبر بوفاة أبيه من طوس مع رجاء الخادم رقى المنبر بجامع الرصافه ، وحمد الله وأثنى عليـه ، وصلى عـلى النبي (ص) ثم قال [٨] : (يا أيها الناس خصوصاً يا بني العباس ، ان المنون بمرصد لذوي الانفاس حتم من الله لا يدفع حلوله ولا ينكر نزوله ، فارتجعوا قلوبكم من الحـزن على الماضي الى السرور بالباقي تحوزوا ثواب الصابرين وتعطوا أجر الشاكرين ..) ويعلق الاربلي بعد ذلك بقوله : (فعجب الناس من جرأته) .

ومن المفيد أن أقف قليلا أمام هذا التعليق لاقول أن أبا نواس لـم يكن مجانباً للحقيقة حينما مدحه برباطة الجأش والصبر اذ قال [٩] :

وان أمير المؤمنـين محمـداً لرابط جأش للخطـوب وصابر

بل ربما كان فيما أورده المسعودي [١٠] في مجال حديثه عن جرأة الامين وشجاعته كثير من الصواب أيضاً .

ويعلق الاربلي [١١] أن المأمون كان حين وفاة الرشيد في مرو فلما بلغـه كتاب أخيه مع خبر وفاة أمير المؤمنين رقى المنبر ووقف خطيباً في الناس وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) : (أيها الناس أحسن الله عزائي

---

(٧) البريد : البغلة المرتبة في الرباط : كلمة فارسية تعريب كلمة : بريده‌دم : اي محذوف الذنب ،. لان بغال البريد كانت محذوفة الاذنـاب كالعلامة لها فاعربت وخففت ، ثم سمي به الرسول المحمول عليها وسميت المسافة التي يقطعها (حاشية رسائل العرب ٣/٣٤٩) .

(٨) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٧١ .

(٩) ديوان ابي نواس ص ٤٠٩ .

(١٠) مروج الذهب ٣/٣٠٧ .

(١١) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٧١

وعزاءكم في الخليفة الماضي وبارك الله لي ولكم في خليفتنا الحادث (أي أخيه) ومدالله في عمره) ثم يقول : (ثم خنقته العبرة) . والغريب أن هـذا التعليق منسجم مع ما ورد في وصية الامين لاخيه المأمون في رسالته آنفة الذكر حيث أوصاه بقوله : (واياك أن يغلب عليك الجزع فانه يحبط الامر ويعقب الوزر) ولم يورد مثل ذلك في وصيته لاخيه صالح [١٢] . ولست بعد هذا حريصة على ثلب المأمون ووصفه بالجزع في هذا الموقف لان خلافته أثبتت أنه من أعظم خلفاء بني العباس – قدر حرصي على انصاف الامين ، ولكنها نتف أوردها التاريخ ، لا بد أن أشير اليها وأوقف النظر عندها ..

وهكذا وصلت الكتب التي بعث بها الامين الى طوس أصحابها ، فقرأ كل من القواد والجند وأولاد هارون كتابه ، وتشاوروا في اللحاق بمحمد ، وكان الفضل بن الربيع أكثرهم حرصاً على ذلك ، فقال قولته التي رددتها كتب التاريخ (لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا أدري ما يكون من أمره) [١٣] والتي عبرت عن أطماعه وكشف عن موقفه الذي يميل مع القوة والغلبة ، وقد صدقت الحوادث ذلك ، اضافة الى أن هذا القول قد يظهر جلياً سبق الاصرار من المأمون وحاشيته على التصدي للامين لاخذ الامر منه .

ثم أقام المأمون على ما كان يتولى من أعمال خراسان ونواحيها الى الري ، وكاتب الامين (وتواترت كتب المأمون الى محمد بالتعظيم والهدايا اليه من طرف خراسان من المتاع والآنية والمسك والدواب والسلاح) [١٤] .

ولم تلبث الامور أن تطورت بسرعة فاضطربت العلاقـة بين الاخـوين وصارا يتبادلان رسائل تنم عن مد بصر كل منهما الى ما في يد الآخر ، وكدر

---

(١٢) الطبري ٣٦٨/٨ .
(١٣) الطبري ٣٧٠/٨ .
(١٤) الطبري ٣٧٣/٨ .

الشك صلتهما ، فبعث الامين الى المأمون يسأله أن يتجافى له عن كور [١٥] من كور خراسان ، وأن يوجه العمال اليها من قبله وأن يأذن بتوجيه رجل ليؤدي اليه أخبار خراسان فقال [١٦] :

(أما بعد فان أمير المؤمنين الرشيد ، وإن كان أفردك بالطرف وضم ما ضم اليك من كور الجبل ، تأييداً لامرك ، وتحصيناً لطرفك فان ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك ، وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية الى ما يفضل من رده ، وقد ضم لك الى الطرف كوراً من أمهات كور الاموال لا حاجة لك فيها ، فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها ، ومواضع حقها . فكتبت اليك أسألك رد تلك الكور الى ما كانت عليه من حالها ، لتكون فضول ردها مصروفة الى مواضعها ، وأن تأذن لقائم بالخبر يكـون بحضرتك يؤدي لنا علم ما نعنى به من خبر طرفك ،فكتبت تلط [١٧] دون ذلك بما أن تـم أمرك عليه صيرنا الحق الى مطالبتك فائن عن همك اثن عن مطالبتـك أن شاء الله) .

فلما قرأ المأمون الكتاب كتب مجيباً [١٨]

(أما بعد ، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ، ولم يسأل ما يوجبه حق فيلزمني الحجة بترك اجابته ، وانمـا يتجاوز المتناظران منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلهـا ، فمتى تجـاوز متجاوز ـ وهي موجودة الوسع ـ ولم يكن تجاوزها الا عن نقضها واحتمال ما في تركها ، فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ، ولا على قطيعتك ، وأنا على ايثار ما تحب من صلتك ، وارض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك والسلام) .

---

(١٥) الكور : الكوره بالضم : المدينة والصقع ج : كور (القاموس المحيط) .
(١٦) الطبري ٣٨٠/٨ .
(١٧) تلط : تجحد .
(١٨) الطبري : ٣٨٠/٨ .

والحقيقة أن موقف الامين في مطالبة المأمون بما يزيد من المال وبالقيام على تعيين العمال من قبله وارسال من يصله باخبار خراسان ، أمر لا بد منه لتحصين الدولة وحفظ الخلافة ، وهو مظهر من مظاهر الحزم وحسن الادارة ، وأمر أدى الى حاجة اليه ما كان من أمر العهد الذي عقده الرشيد للمأمون ، وكان قصد الامين اضعاف المأمون وجعله تابعاً له وخاضعاً لرقابته [١٩] .

وكانت القوة في جانب الامين ، يدل على ذلك لين رسالة المأمون (فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ولا على قطيعك ، وأنا على ما تحب من صلتك ، وارض بما حكم الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك) .

ولما دعا المأمون بعض ثقاة خراسان للتشاور معهم أشاروا عليه جميعاً باجابته الى ما سأل رجاء للسلامة لما يخافون من ضرر منعه ، ولكن الحسن بن سهل أشار بعدم اجابته لعدم الوثوق بكفه عن المطالبة بالمزيد ولان في تلبيتهم مظهراً من مظاهر الضعف والوهن .

ولما وصل كتاب المأمون بالرفض تميز الامين غيظاً فأمر بالامساك عن الدعاء للمأمون على المنابر وكتب اليه [٢٠] لائماً متوعداً : (أما بعد فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكن لك من ظلها ، متعرضاً لحراق نار لا قبل لك بها، ولحظك من الطاعة كان أودع لك ، وان كان قد تقدم مني متقدم ، فليس بخارج من مواضع نفعك اذ كان راجعاً على العامة من رعيتك ، وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ويثبت لك حال الهدنة فأعلمني رأيك أعمل عليه) .

واستمرت المراسلات [٢١] بين الاخوين وكل يرى لنفسه حقاً عند صاحبه فالامين يرى أن عليه أن يحكم سلطانه ويمسك بمقاليد الامور بيده ويضع

---

(١٩) العصر العباسي الاول ص ١٩٤ .
(٢٠) الطبري ٣٨١/٨ .
(٢١) تنظر في الطبري ٣٨٢/٨ وما بعدها .

القوة تحت امرته والمأمون يرى في أخيه أنه يريد أن يتوهنه مما يمنع من قوته ، ثم يتمكن للوهنة من الفرصة في مخالفته والغلبة على أمره .

ولما بعث المأمون بالكتب الى رجال النباهة من أهل العسكر في بغداد يشرح لهم فيه موقف الامين منه مع رسوله فمنهم من أمسك عن الجواب ، ومنهم من أجاب ، فكتب أحدهم (٢٢) يحضه على القناعة بالمأمول من حظ العاجلة لانها خير من السعي الى الحصول على حظ العاقبة مع التعرض للنكبة والوقائع .

وكتب الرسول الى المأمون وذوي الرياستين كتاباً يقول فيه : (أما بعد فاني وافيت البلدة ، وقد أعلن خليطك بتنكره ، وقدم علماً من اعتراضه ومفارقته بحضرته ، ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونفاة العلانية ، ووجدت المشرفين بالرعية لا يحوطون الا عنها ولا يبالون ما احتملوا فيها ، والمنازع مختلج الرأي ، لا يجد دافعاً منه عن همه ، ولا راغباً في عامة ، والمحلون بانفسهم يحلون تمام الحدث ليسلموا من منهزم حدثهم ، والقوم على جد ، ولا تجعلوا للمتواني في أمركم نصيباً ان شاء الله والسلام .)

ولما أسفرت الفتنة بين الاخوين الى الحرب عام ١٩٥ هـ خرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد ، وقد بلغ من حرص الامين على أمور دولته أن خرج معه واقبل عليه يوصيه بما يدل على اتزان تفكيره وسداد رأيه ومعرفته بعواقب الامور ، فقد أوصاه بمنع الجند من انتهاك أمن البلاد المفتوحة والتعرض لاهلها ، وأوصى بتولية أحد القواد الذين يعتمد عليهم واسناده بالجند الكثيف وأمره بدفع أرزاق الجند واكرام وجوه أهل خراسان ممن يظهر الولاء والطاعة وان لا يعاقب أخاً بأخيه ، وأوصاه بأن لا يأمن أحداً رماه بسهم أو طعن أصحابه برمح ، وأن يشخص بالمأمون اذا ما وقع في يده أسيراً مع أوثق أصحابه عنده ولم ينس أن يوضح له الامور في جميع احتمالاتها واحوالها فقال (٢٣) :

---

(٢٢) الطبري ٨/٣٨٤ .
(٢٣) جمهرة خطب العرب ٣/١٠٥ .

(امنع جندك من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القرى ، وقطع الشجر ، وانتهاك النساء وول الري يحيى بن علي [٢٤] ، واضمم اليه جنداً كثيفاً ، ومره ليدفع الى جنده أرزاقهم مما يجيء من خراجها ، وول كل كورة ترحل عنها وجلا من أصحابك ومن خرج اليك من جند أهل خراسان ووجوهها ، فأظهر اكرامه واحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه ، وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ، ولا تأمن أحداً رماك بسهم أو طعن في اصحابك برمح ، ولا تأذن لعبدالله في المقام أكثر من ثلاثة أيام من اليوم الذي تظهر فيه عليه . فاذا أشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك ، فان غره الشيطان فناصبك فاحرص على أن تأسره أسراً ، وان هرب منك الى بعض كور خراسان ، فتول اليه المسير بنفسك ، أفهمت كل ما أوصيك به)

أما وصيته لاحمد بن يزيد [٢٥] فتدل على نظرته الرصينة الحكيمة الى الامور وشدة اهتمامه بأمور الجيش صغيرها وكبيرها ، فهو لا يريد لقائده أن يظلم لأن البغي عقال النصر ، وما استطاع معالجته باللين فلا يتجاوزه الى التهور والشدة .

ثم يوصيه باستمالة قلوب من معه من الجند والاحسان في صحبته ، وليس أفضل للقائد من كسب قلوب المحاربين معه وهو حريص على أن لا ينقطع حبل التواصل بالاخبار في كل يوم ، ثم يوصيه بتجنب المخاطرة والمغامرة والاندفاع ، وأخيراً يريد منه أن يصفي الاخاء لعبدالله بن حميد بن قحطبة [٢٦]وان تتحد أيديهما وتتفق كلمتهما وان يكون له قريناً باراً لا يخذله اذا استنصره ولايتوانى عنه اذا استصرخه قال : (أوصيك بخصال عدة

---

(٢٤) يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .
(٢٥) الطبري ٨/٤٢٢ .
(٢٦) قائد من قواد الامين وجهه مع احمد بن يزيد الى حلوان لحرب طاهر بن الحسين .

اياك والبغي فانه عقال النصر ، ولا تقدم رجلا الا باستخاره ، ولا تشهر سيفاً الا بعد اعذار ، ومهما قدرت باللين فلا تعده الى الخرق والشره ، واحسن صحابة من معك من الجند ، وطالعني بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفى عندي ، ولا تستقها فيما تتخوف رجوعه علي ، وكن لعبدالله أخاً مصافياً وقريناً براً ، وأحسن مجامعته وصحبة معاشرته ، ولا تخذله ان استنصرك ولا تبطىء عنه اذا استصرخك ، ولتكن أيديكما واحدة ، وكلمتكما متفقة .)

وجدير بنا بعد استعراضنا لهذه النماذج من رسائله ووصاياه ان نؤكد أنه كان على درجة عالية من الكفاءة السياسية وأنه كان ذا حكمة وبعد نظر وحسن تدبير مع علو همة واتصاف بالحزم وشدة العزم .. وقد لاحظ القارىء الكريم ذلك كله خلال رسائله والحديث عنها ، وخلال وصاياه والوقوف عند بعض فقراتها .

ومن المفيد أن نضيف الى ما ذكرناه في هذا الصدد ما ورد في الرسالة التي بعث بها اليه (موسى بن عيسى) من حاشيته المقربين وأبناء عمومته ، وكان قد كلفه برعاية موسم الحج مبيناً فيها استبشار الناس بعهد الخليفة الامين والتفافهم حوله ودعاءهم له بطول البقاء .

ثم يختمها بالاشارة الى حرص الخليفة على معرفة أخبار دولته وتطلعه الى عمله والسرور به فقال (٢٧) :

(أما بعد ، فان الله بحمده ومنه هو ولي أمير المؤمنين وولي النعمة عليه فيما حمله الله واستحفظه ، وجعله القائم به والمحافظ عليه من ولاية دينه ، ورعاية أهله ، والمرجو لاتمام ذلك بمنه ورحمته .

---

(٢٧) جمهرة رسائل العرب ص ٣٥٠ عن اختيار المنظوم والمفتور ١٣/٣٧١ .

واني كتبت الى أمير المؤمنين يوم النفر [٢٨] الاول وقد قضى الله مناسكنا وتمم حجنا وارانا في مواقفنا وافاضتنا ومن حضر الموسم من رعية أمير المؤمنين أفضل ما لم يزل يبلي أمير المؤمنين ويعوده ، ويبلي الرعية في خلافته من السلامة والعافية والتوفيق والكفاية والله محمود .

ولم أر موسماً كان أعم عافية وسلامة ، وأحسن هدياً ودعة ، وأكثر داعياً لامير المؤمنين وولي عهده بطول البقاء ، من موسم الناس في عامهم هذا بنعمة الله وفضله .

أحببت الكتاب الى أمير المؤمنين ، لمعرفتي بعنايته وتطلعه الى عمله ، ليسر به ، ويحمد الله عليه ويشكره فانه يحب الشاكرين) .

---

(٢٨) نفر الحاج من منى : كضرب نفرا ونفورا ، ويوم النفر الاول : هو الثاني من ايام التشريق (وايام التشريق ثلاثة . وهي بعد يوم النحر . قيل سميت بذلك لان لحوم الاضاحي تشرق فيها : اي تقدد في الشرقة وهي الشمس .

الخاتمـة

وبعد هذه المسيرة الطويلة بين كتب التاريخ والاخبار والادب ، ارجو ان أكون قد وفقت فيما رميت اليه في انصاف هذه الشخصيـة العربيـة التي كانت ضحية الصراع الفارسي مع العرب والذي أساء اليه التاريخ فشوه ذكره ونسب اليه كل قبيح حتى قال فيه ابن الاثير : (لم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره)

أقول : لقد عمدت الى انصاف الامين في مجالات عديدة أولها : الوقوف عند ما أورده التاريخ في ذمه ، وتحليله ومناقشته لبيان الوضع والتحريف فيه ، وثانيها تسليط الضوء على النتف اليسيرة من الاقوال والاخبار التي تنصفه مع العمل على التوصل الى مراميها وابعادها ، أما ثالثها فهو المجال الرحب الـذي انصب عليه جل الجهد ، وكان لي نعم المعين في انصاف الامين بما أفاضه من حسن السيرة وجليل الاعمال وعالي الصفات ، انه الادب الذي حفظ له الذكر الطيب وقال عنه الكلمة المنصفة ، اللهم الا بعض أبيات ظاهرة الوضع قالها فيه خصومه خلال الفتنة أو بعدها .

وتناولت في وقوفي على الادب ثلاثة جوانب اساسية هي : مـدح الامين ورثاؤه .. ثم رسائله .

ولقد اكدت مدائحه من قبل عدد من الشعراء أنه كان رجل علم ودين وصاحب شجاعـة وقـدرة وتدبير ، وأنـه كـان رجـل حروب وسنـداً في الملمات ... الخ

ومع ذلك فانی لا أشك في أن الكثير مما قيل في الثناء عليه قـد أصابتـه الايادي التي أزالت وجوده ، وهناك الاشارات العديدة الى أن كثيراً من الشعراء

كانوا قد اتصلوا بالامين ومدحوه فأعطاهم وأغناهم ، الا أن شيئاً من مديحهم لم يصلنا وربما أفلت منه البيتان أو الابيات القليلة .

ان موقف الشعراء من المأمون بعد موت الامين وحرصهم على استمناح عطائه بمدائحهم ربما يدل على أنهم كانوا حريصين جداً على اخفاء ما كان منهم في مدح الامين سيما وقد رأينا المأمون وأنصاره لا يغفرون للشعراء مديحهم له .

وقد مرت بنا بعض المواقف التي يحاول الشعراء تبرير مديحهم مع الاعتذار منه وطلب الصفح عليه .

ان هذه المواقف وأمثالها تدل على ان الشعراء أنفسهم كانوا قد تنكروا بعد مقتل الامين لما قالوه فيه فحاولوا ان يبرئوا أنفسهم منه وعملوا على طمس معالم مدائحهم فيه .

وقد وصلنا من شعر أبي نواس في مدح الامين ورثائه روائع كثيرة ، وربما كان لموت أبي نواس قبل دخول المأمون مدينة بغداد الاثر في ان لا يصاب بعض شعره بما أصيب به أشعار الاخرين ، حيث لم يضطر على ما حمل عليه غيره من شعراء عصره من انكار ما قالوه في الامين وتخليهم عنه .

أو ربما كان لكثرة رواة شعر أبي نواس أثره في حفظ مدائحه ومراثيه للامين ووصولها الينا بهذه الصورة .

ولا بد لي ان أقول بعد هذا أن أكثر ما أفادني في التحقق من صحة ما نسب الى الأمين من حميد الصفات ، ما قيل فيه من مراث على وجه الخصوص

فرثاء الامين بحد ذاته في مثل ظروف مقتله والتغلب عليه هو منتهى الوفاء وغاية الصدق لانه رثاء لمغلوب أمام غالب يحف به تيار عنيف لا يقاوم وقد عبر الحسين بن الضحاك عن ذلك بقوله في رثائه :

أطل حزنـــاً وأبك الامير محمدا   بـــدمع وان خفت الحسام المهندا

ومن هنا تأتي أهمية ما قيل فيه ، وبه نستدل على صحة ما ذكر عنه من حميد الافعال وجليل الصفات .

وفرق كبير بين مديح يقال في ظروف مواتيـة للتكسب والرجاء ، وبين رثاء لقتيل لا يعود على قائله بغير المقاومة والعداء .

ووقفت بعد ذلك عند رسائل الامين ووصاياه وقـد نص الامين بعـد كل رسالة على أنها من املائه . وهي تدل على طول باعه في السياسة واتساع خبرته فيها .

فقد رسم فيها لاخوته وولاته وقواده رسوم الادارة ووضع لهم العلامات التي يمكن أن تصون الحكم وتبعد عن الزلل وتقود الى النجاح .

وكان يصدر فيها من موقع القوة ويتكلم عن موضع الثقة معلناً عن توجيهاته السديدة وارائه الراجحة ، بل لعل القارىء الكريم كان قد وقف على أكثر مما لاحظته من خلال تلك الرسائل والوصايا مما يؤكد انصافه ويعمل على محـو ما لحقه من وضع وتحريف وتشويه .

ولا بد لي أخيراً أن أقول ..

لئن كان ما قدمته للقارئين الكرام من الجهد المستطاع قـد ألقى ضـوءاً كاشفاًعلى شخصية الامين ، وعلى ما أحاط تأريخه من افتعال ، فأني أعود لاهيب بالباحثين أن يكملوا ما بدأت به ، وأن ينهجوا هـذه الطريق ولنعمل جميعـاً بوحي من عروبتنا على تنقية تأريخنا العربي الاصيل من شوائب التحريف وأدران التشويه .

والله أسأل أن يثيب العاملين المخلصين وشكراً .

د. واجده الاطرقجي

المصادر والمراجع



(الأنباء في تاريخ الخلفاء) ابن العمراني محمد بن علي بن محمد ، تحقيق قاسم السامرائي القاهرة ١٩٧٣ م

الاوراق ، الصولي أبو بكر محمد بن يحيى ، القاهرة مطبعة الصاوي ١٩٣٦ م

بغداد ، ابن طيفور أحمد بن طاهر الكاتب ، القاهرة ، ١٩٤٩ م

بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، الالوسي

البيان والتبيين ، للجاحظ ، السندوبي ، القاهرة ١٩٣٢ م

تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، ادارة الطباعة ، المنيرية ١٣٥١ هـ

تاريخ الطبري ، دار المعارف ، أبو الفضل ابراهيم ١٩٦٦ م

التنبيه والاشراف ، المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين ، القاهرة ، دار الصاوي للطباعة والنشر

جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ط ٢ ١٩٦٢ م

جمهرة رسائل العرب ، أحمد زكي صفوت ط ١ ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

خلاصة الذهب المسبوك ، الاربلي عبدالرحمن ، تحقيق مكي السيد جاسم ، بغداد مكتبة المثنى

الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ط ٢ ، منشورات المثنى ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

ديوان أبي نواس ، برواية الصولي ،تحقيق بهجت عبد الغفور ، دار الرسالة للطباعة بغداد ١٩٨٠ م

ديوان أبي نواس برواية حمزه الاصفهاني ،تحقيق عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ١٩٤٣ م - ١٣٧٣ هـ

ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، تحقيق د. محمد يوسف نجم دار الثقافة ١٩٦٢ م

شاعرات العرب : جمع وتحقيق عبد البديع صقر ط ١ منشورات المكتب الاسلامي ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

الشعر والشعراء : ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ م ط ٢

شعر دعبل بن علي الخزاعي :دمشق ١٩٦٤ م مطبوعات المجمع العلمي العربي

الصراع بين الموالي والعرب : د. محمد بديع شريف ١٩٥٤ م دار الكتاب العربي بمصر

طبقات الشعراء :ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف

طبيعة الدعوة العباسية : د. فاروق عمر فوزي ، دار الارشاد ط ١ ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠

العصر العباسي الأول : د. عبد العزيز الدوري بغداد ١٩٤٥ م

العقد الفريد :ابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق احمد امين وابراهيم الابياري وعبد السلام هارون : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

العيون والحدائق : لمؤلف مجهول ، مكتبة المثنى .

الفرج بعد الشدة : دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

الفهرست : ابن النديم ، طبع لايبزك .

الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية : ابن الطقطقي محمد علي ، بيروت دار صادر ١٩٦٦م .

الكامل في التاريخ : ابن الاثير عزالدين ابو الحسن علي دار صادر ١٩٦٥م .

القاموس المحيط : مجدالدين محمد بن يعقـوب الفيروزابادي ، مؤسسـة الحلبي ، القاهرة .

لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ١٩٥٥م .

معجم الادباء : ياقوت شهابالدين الحموي ، مطبوعات دار المامون ، مكتبـة عيسى البابي الحلبي .

مروج الذهب : المسعودي : مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨م .

المعارف : ابن قتيبة الدينوري تحقيق محمـد اسمـاعيل عبدالله الصـاوي : ط[١] ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م .

مجمع الامثال : الميداني ١٣٥٢هـ .

المقدمة : لابن خلدون بولاق ١٢٨٤هـ .

مختار الاغاني : ابن منظور تحقيق عبدالعزيز احمد الدار المصرية للتأليـف والترجمة .

المستجاد من فعلات الاجواد : التنوخي تحقيق محمـد كـرد علي ١٩٧٠م

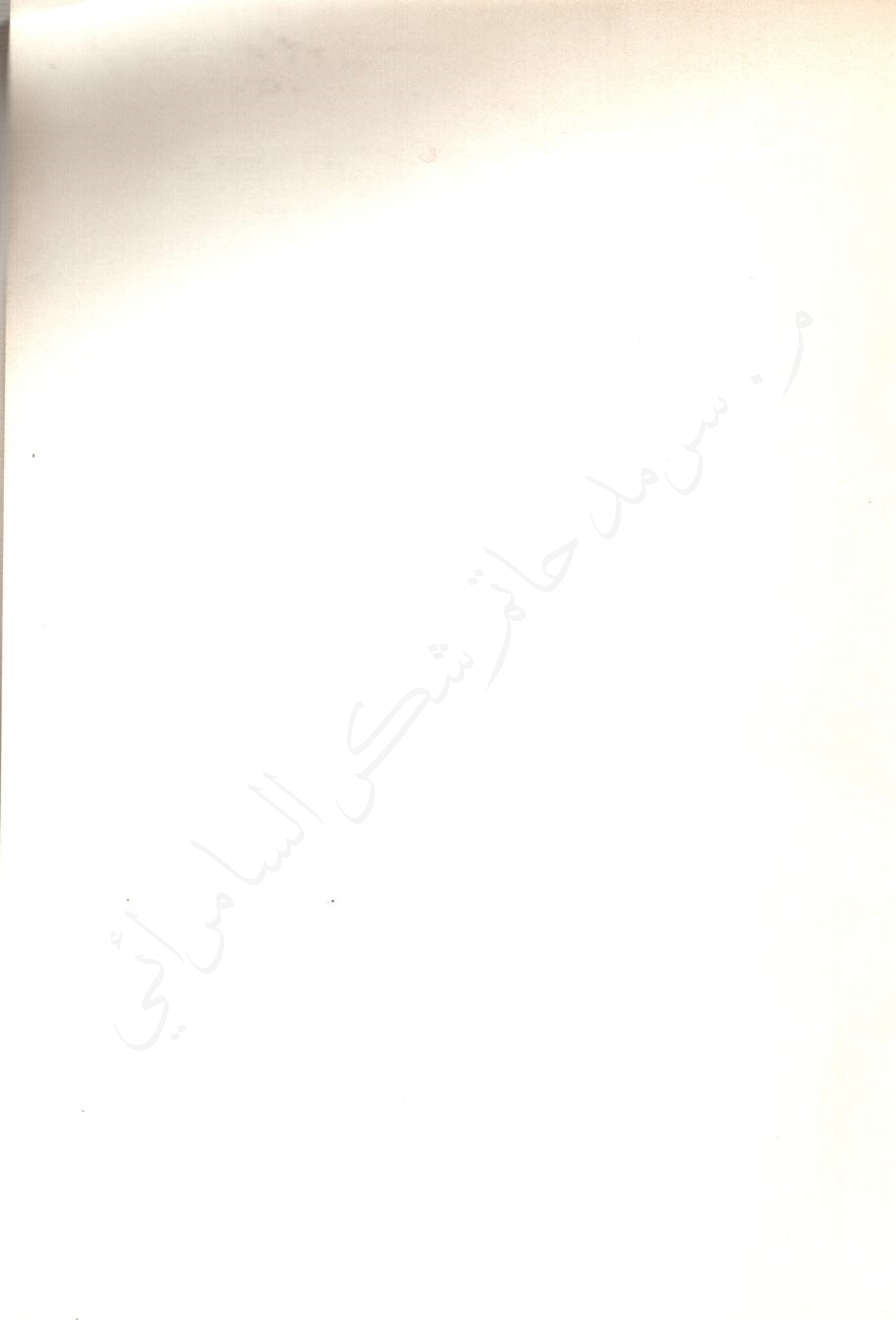
الوزراء والكتاب : بن عبدوس الجهشياري تحقيق مصطفى السقا وابراهيـم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ط[١] مطبعـة مصطفى البابـي ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

وفيات الاعيان : ابن خلكان القاهرة ١٣١٠ .

هارون الرشيد : الجومرد .

الوافي بالوفيات : للصفدي تحقيق محمد يوسف نجم ، دار النشـر فرانـز شتاينر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

فهرست الموضوعات



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٠٨ لسنة ١٩٨١

مطبعة علاء ـ وزيرية ـ هاتف ٢٤٩١٥